موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٩)

الأمانة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك

دار رواح للنشر والتوزيع

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

٩

الأمانة

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

دار رواح

www.internback.com
موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

ح مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-١٩٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٩)

١- الأدب العربي -- موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٣-١٩٤-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٩)

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الأمانة لغةً	٩
الأمانة اصطلاحًا	١٠
الأمانة	١١
الأمانة بين الفطرة والاكتساب	١٤
الأمانة بين التصرف والاختيار	١٨
الأمانة من أبرز أخلاق الرسل	٢٢
العرب والأمانة	٢٦
موقف الإسلام من خلق الأمانة	٣١
مجالات الأمانة	٣٤
الفهارس	٩٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

الأمانة من الأخلاق الاجتماعية التي تدلّ على سمو المجتمع وتماسك بنيانه. وقد أجمع علماء الأخلاق وعلماء النفس وعلماء الاجتماع على أنها من ألزم الأخلاق للفرد والجماعة على السواء، لا يكاد ينازع في ذلك أحد. فما زال الناس، رغم ارتفاع الأصوات بالشكوى من تحلل المجتمعات من كثير من قيود الفضيلة والأخلاق، يجمعون على مدح التخلق بالأمانة وذم المتصف بالخيانة؛ لأن الأمانة خلق يشيع الطمأنينة والثقة بين أفراد المجتمع، فإذا هم يتعاملون بالحب ويتجاورون بالوفاء ويتعايشون بالطمأنينة ويتساندون بالحق.

وتبدو لنا حاجة المجتمع الإنساني الى خلق الأمانة، حيثما نلاحظ أن شطرًا كبيرًا من العلاقات الاجتماعية والمعاملات الإنسانية تعتمد على الثقة في الأمناء بما يوضع بين أيديهم من مال أو سلطان وبما يوكل إليهم من أمور عامة أو خاصة.

والأمانة خلق إيجابي لا يستحق أن يوصف به إلا من سنحت له فرصة الخيانة من غير أن يلحقه ضرر، فأظهر التعفف وقوة الإرادة التي تقوم على سموّ النفس والروح.

فمن تهيأ له أن يهضم دينًا دون أن يكون لدى الدائن مايثبت به حقه فعف عن ذلك وأدى ما عليه من حق كاملاً غير منقوص فهو أمين حقًا.

ومن تهيأت له فرصة اختلاس أموال غيره دون أن يشعر به أحد من الناس ودون أن يكون عرضة لاكتشاف لصوصيته فعف عن ذلك و لم يفعل فإنما ذلك أثر من آثار الأمانة في نفسه.

ومن كان يؤدي الودائع التي عنده لأصحابها مع أن أصحابها لا يملكون وثائق بها عليه فهو أيضًا إنما يفعل ذلك بدافع خلق الأمانة الذي يتحلى به.

www.mtenback.com

ولا تقتصر الأمانة على العفة عن الأموال، بل العفة عن كل ما ليس للإنسان فيه حق هي داخلة في حدود الأمانة.

والأمانة خلق وجداني يفيض من النفس الزكية الطاهرة فيضًا لا تضطر إليه اضطرارًا، فمن كان أمينًا برقابة القانون أو برقابة السلطان، أو برقابة الناس أو بخوف من عاقبة سيئة فليس بأمين.

والأمانة من أخلاق القوة، لا قوة النفوذ والسلطان ولا قوة الجاه والغنى بل قوة النفس، تنفي عنها ضعف الانقياد إلى حب الذات الذي يورد التهلكة، حين يمنى صاحبه بالمغنم من أقرب طريق وأوعره وأخبثه، ولو أحبّ الخائن نفسه عن بصيرة وتعقل لسلك بها إلى المغنم سبيل السلامة والكرامة والأمانة.

وهذه القوة التي يتصف بها الأمين ليست قوة الجسم وإنما قوة الفؤاد وشجاعة الخلق ونبله. ولذلك كان الأمين في ميزان القوة أقوى ممن يحمل أسلحة النار وأثقال الحديد يقول الشاعر[1]:

حَامِلُ النَّارِ والحديدِ قَوِيٌّ ... والَّذي يَحْمِلُ الأَمَانَةَ أَقْوَى

وليس كل قوي أمينًا، ولهذا دعا المصلحون ليتولى زمام الشعوب القوي الأمين المصلح النافع لأمته، يقول الشاعر[2]:

والقَوِيُّ الأَمِينُ والمُصْلِحُ النَّا ... فِعُ أَبْقَى لِسِلْمِهَا والعَمَارِ

وليست هناك أمة من الأمم ولا ملّة من الملل إلا وللأمانة عندها المكان الأعلى، ولقد حضت عليها وجعلتها ميزانًا للدلالة على مدى تأثر المرء بالمبادئ السامية.

---

[1] الكاشف، أحمد بن ذي الفقار بن عمر: ديوانه دار الهيئة المصرية، (د.ت)، ص٤١٨.

[2] المرجع السابق، ص ٤٢٤.

www.mtenback.com

كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يقول: «لا تغرّنكم طنطنة الرجل بالليل - يعني صلاته - فإن الرجل كل الرجل من أدى الأمانة إلى من ائتمنه ومن سلم المسلمون من يده ولسانه»[٣].

فلم يغتر عمر بمظاهر الصلاح والأمانة وإنما نبّه إلى ضرورة الوعي عند التعامل مع أولئك المخادعين.

وقال الشاعر محمود الوراق في هذا المعنى[٤]:

تَصَنَّعَ كَي يُقَالَ لَهُ: أَمِينٌ ... وَمَا مَعْنَى التَّصَنُّعِ لِلأَمَانَهْ

وَلَمْ يُرِدِ الإِلَهَ بِهِ وَلَكِنْ ... أَرَادَ بِهِ الطَّرِيقَ إِلَى الخِيَانَهْ

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك www.mtenback.com

[٣] ابن أبي الدنيا: مكارم الأخلاق، تحقيق: جيمز.أ. بلمي، دار فرانز شتاينر، فيسبان للنشر، (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، ص ٦٨.

[٤] ابن عبد البر القرطبي، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد: بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، (١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، م٢، ص٥٧٧.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الأمانة لغة:

الأمانة: مصدر مأخوذ من أمِن يأمَنُ أمنًا، وأمانًا وأمانة بمعنى لم يخف، إذ الأمن ضد الخوف، وأخذت منه الأمانة التي: هي ضد الخيانة؛ لأن من كان لديه خلق الأمانة لم يَخَفْ صاحب الحقّ منه على حقّه، ولا صاحب العهد منه على عهده، بل يكون في أمْنٍ وأمَنةٍ من جهته.

قال ابن فارس: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان أحدهما الأمانة التي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق.

فجذر المادة يدور حول معنى الأمن الذي هو ضد الخوف، ومنها اشتق أيضًا الإيمان الذي هو طمأنينة القلب لما اعتقده وصدّق به، لأنه يصل إلى حالة يأمن فيها الخطأ والغلط ومجانبة الحق والصّواب، ويأمن فيها العاقبة السيئة التي لا يأمنها الشاكون والمترددون والذين لا تجعلهم الظنون يستقرون ويطمئنون.

فالمخاطر في تجارته قلق غير آمن؛ لأنه يخاطر اعتمادًا على الظنّ، بخلاف من يتاجر على يقين؛ فإنه يكون آمنًا مطمئنًا.

والكافر بالله بعد عرض الأدلة عليه قلق مضطرب غير آمن؛ لأنه يجحد ربه اعتمادًا على الأوهام والظنون ورغبات نفسه، وهو دائمًا يخاف من سوء المصير، ومن عقاب الله له، بخلاف المؤمن بالله، فإنه يظل مطمئن القلب من جهة ربه، غير خائف.

لذلك جاء الربط بين الأمانة والإيمان في طائفة من أقوال الرسول ﷺ منها قوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له»[٥].

وإذا عرفنا أن الأمانة من الأمن كان لنا أن نقول: إن الذي يأمن الناس خيانته، أو عدوانه، أو هضمه لحق عنده تكون جهته ذات أمن وأمان وأمانة.

---

[٥] ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد: المسند، أشرف عليه ورقمه وأعدّ فهارسه: بدر الدين جتين آر، دار سحنون، إستانبول، ط٢، (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ٣/١٢٥.

www.mtenback.com

ولّما كان ذلك يرجع إلى خلقه أو إلى سلوكه، سميّ خلقه الذي هذا أثره باسم الأمانة التي هي في الأصل من الأمن الذي هو ضد الخوف وسمي سلوكه الذي يستجيب لخلقه باسم الأمانة.

ومن معاني الأمين: القوي؛ لأنه يوثق به. ويقال ناقة أمون: وثيقة الخَلْق وقد أمِنَتْ أن تكون ضعيفة وهي التي أمنت العِثار والضعف والانقطاع في الطريق لقوتها[٦].

يقول عبيد بن الأبرص واصفًا فرسه بالقوة والسرعة[٧]:

وَقَدْ أَغْتَدِي قَبْلَ الغَطَاطِ وَصَاحِبِي أَمِينُ الشّظا رِخْوُ اللَّبَانِ سَبُوْحُ

وإنما ذكر قوة فرسه لأنّها تمنح راكبها الشعور بالطمأنينة إلى قدراتها عند الارتحال وطرد الصيد.

ويفتخر ابن الرومي مشيدًا بقسيّه وأنها ذات أوتار أمينة القوى يوثق بها ويطمأن إلى شدة أثرها الفتاك[٨]:

وَإِن قِسِيِّي لَوَتَّرَةٌ بِكُلِّ أَمِيْنِ القُوى حَادرِ

الأمانة اصطلاحًا:

يقصر بعض الناس الأمانة في أضيق معانيها وآخرها ترتيبًا وهو حفظ الودائع. إلاّ أن حقيقة الأمانة أضخم وأثقل من ذلك.

والأشياء التي تحتاج في الناس إلى خلق الأمانة أو إلى سلوك الأمانة كثيرة لا حصر لها، وهي تشمل كل مايكون للآخرين فيه حق ما، والمطلوب ممن يقع ذلك

---

[٦] ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مادة (أمن).

[٧] ديوان عبيد بن الأبرص، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، ص٤٧.

[٨] ابن الرومي، أبو الحسن علي بن عباس بن جريج، ديوانه، دار الهلال، بيروت ط١، (١٤١١هـ/١٩٩١م) ص٨٥.

www.mtenback.com

الشيء في دائرة حفظه، أو في دائرة إمكان العدوان عليه بأي وجه من الوجوه أن يحفظه ويرعاه، ولا ينال منه مالاحق له فيه، ويؤديه لصاحبه أو من أمره صاحبه بأن يؤديه إليه، دون أن يمسه بما يكره صاحب الحق فيه، أو يدعه على ماوصفه عليه صاحبه، دون أن يمسه بما يكره أن يمسه به.

إن كل شي موضوع في حرز مثله قد استؤمن الناس جميعًا عليه، فمن أخذه من حرز مثله فهو خائن لما استؤمن عليه بشكل عام.

هذا في الأشياء المادية، أما المعنوية في خلق الأمانة ومعانيها فهي واسعة الدلالة كثيرة المعاني حيث تتصل بكل سلوك إنساني سواء كان هذا السلوك ظاهرًا أو خفيًا ولهذا اتسع مصطلح الأمانة باتساع العمل بها والمقصود منها.

الأمانة:

لا شك أن المعنى المباشر الذي يتوجه إليه الإنسان عندما يسمع كلمة الأمانة هو حفظ ما استودع المرء واستؤمن عليه، وعليه فإن حقوق الاستئمان الخاص هي الأظهر في معنى الأمانة لكن في الواقع أن حقوق الاستئمان العام هي مثل حقوق الاستئمان الخاص. فالضيف مستأمن على بيت مضيفه وكل ماله فيه، فخيانته أشنع الخيانات وأقبحها، والجار مستأمن على بيت جاره وأهله وعياله وكلّ خاصته، فخيانته من أشنع الخيانات وأقبحها وكذلك الأجير والعامل ونزيل القوم بجوار أو نحوه.

والأمانة في الأصل مصدر ولكنها تطلق على الشيء المستأمن عليه، كما تطلق على الخلق النفسي أو السلوك.

فتسمى الوديعة أمانة، ويجب ردّها عند الطلب، وتسمى العارية أمانة، ويجب ردها عند الطلب. وتقول للرجل: مالي أمانة عندك، أو بيتي وأهلي أمانة عندك، وتقول لمعلم ولدك: ولدي أمانة بين يديك فهي على هذا اسم للشيء المستأمن عليه، وتجمع

www.mtenback.com

عندئذٍ على أمانات ومنه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾[٩].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: يخبر الله تعالى أنه يأمر بأداء الأمانات إلى أهلها.. وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان من حقوق الله عز وجل على عباده من الصلوات والزكوات والصيام والكفارات والنذور وغير ذلك مما هو مؤتمن عليه ولا يطلع عليه العباد. ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك فأمر الله عز وجل بأدائها[١٠].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[١١].

يقول القرطبي: والأمانة والعهد يجمع كل ما يحمله الإنسان من أمر دينه ودنياه قولاً وفعلاً وهذا يعم معاشرة الناس والمواعيد وغير ذلك، وغاية ذلك حفظه والقيام به والأمانة أعم من العهد، وكل عهد فهو أمانة فيما يقدم فيه قول أو فعل أو معتقد[١٢].

ويقول الزمخشري: سُمِّي الشيء المؤتمن عليه والمعاهد عليه أمانة وعهدًا. ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله تعالى، ومن جهة الخلق، والخصوص فيما حملوه من أمانات الناس وعهودهم[١٣].

---

[٩] سورة النساء: الآية ٥٨.

[١٠] ابن كثير القرشي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر بيروت، (١٩٨١م).

[١١] سورة المؤمنون: الآية ٨.

[١٢] القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر: الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، (١٩٩٦م) ج٣، ص١٦٦.

[١٣] الزمخشري، محمود بن عمر: الكشاف، دار المعرفة، بيروت، لبنان، تفسير سورة المؤمنون.

www.mtenback.com

وقال عبد الله بن عمرو بن العاص: فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واللسان أمانة والنطق أمانة، واليد أمانة والرِّجْل أمانة، ولاإيمان لمن لا أمانة له[١٤].

مما سبق يظهر لنا أن لفظ (الأمانة) يطلق على ثلاثة معان:

الإطلاق الأول: يطلق لفظ الأمانة بمعنى الحدث المصدري على السلوك الذي يحافظ به المستأمَن (بفتح الميم) على ما استؤمن عليه ضمن تعليمات المستأمِن (بكسر الميم) الذي هو مالك الشيء الذي استأمن عليه، أو صاحب حق فيه.

وعلى هذا المعنى يقال بالإفراد: للمفرد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث فيقال: عنده وعندهما وعندهن (أمانة) وضدها الخيانة بمعنى الحدث المصدري، الذي يطلق على حدث الخيانة حينما يقع.

فالأمانة على هذا هي الوظيفة المنوطة بالمستأمن تجاه ما استؤمن عليه.

الإطلاق الثاني: ويطلق لفظ (الأمانة) على الخلق النفسي الذي يدفع المستأمن إلى حفظ الأمانة ورعايتها وأدائها إلى صاحبها دون ظلم أو عدوان عليها وعدم التعرض إلى ما ليس له به حق بما لم يأذن به المستأمن.

فهي على هذا اسم للخلق الثابت، لا للحدث المصدري وهي على هذا خلق من آثاره تحمّل الإنسان مسؤولية القيام بما يجب عليه نحو ما وضع تحت سلطة إرادته الحرّة واستؤمن عليه. وضدها لفظ (الخيانة) بمعنى الخلق النفسي أيضًا.

وما يستأمن الإنسان عليه يشمل كل شيء ماديّ أو معنوي في ذات الإنسان أو خارجه مما يمكن أن يحدث فيه أثرًا أو يتأثر هو فيه بأثر ما.

الإطلاق الثالث: ويطلق لفظ (الأمانة) على ذات الشيء الذي يستأمن عليه كالوديعة، والعارية وغير ذلك. وهي بهذا المعنى تجمع على أمانات وقد علمنا أن كل

---

[١٤] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، م٣، ص١٦٦.

www.mtenback.com

ماسخر الله في كونه للناس ومكنهم من التصرف فيه بأي وجه من وجوه التصرف هو أمانة تحت سلطة إرادتهم الحرّة وفق هذا الإطلاق.

الأمانة بين الفطرة والاكتساب:

الأصل في الناس أن يولدوا مؤمنين أمناء، لأنهم مفطورون على النزوع إلى الاعتراف لصاحب الحق بحقه، وحفظه ورعايته له، وأدائه إليه، ومفطورون على الشعور بأن العدوان عليه ظلم وعمل مستنكر وقبيح، ويستحق عليه فاعله المؤاخذة والعقاب، بقدر ذلك العدوان والظلم.

ثم تأتي التربية الخلقية القويمة التي ينشأ عليها الإنسان فتدعم أصل فطرته حتى تصبح الأمانة لديه خلقًا بارزًا قويًا فعالاً، بعد أن كانت ميلاً فطريًا لا يزيد على أن يعطي ترجيحًا يسيرًا، فالأمانة في الأصل خلق قابل للتنمية بالتربية الصالحة حتى يرسخ في النفس ويؤثر في السلوك وهذا ما تدلّ عليه التجربة وتدل عليه الملاحظة في المواليد من الناس قبل أن تفسد فطرتهم أو سلوكهم بأسباب طارئة من الأهواء والشهوات والممارسات المتكررة للخيانة وجحود الحق ومؤثرات البيئة.

ويلاحظ أيضًا في سلوك الناس جميعًا لذلك تحتل الأمانة مكانة سامية في نفوس الناس كافة ويحترم من يتصف بها الإقرار بالأمانة واحترام الأمين.

وفي الحديث عن حذيفة بن اليمان قال: «حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، فقد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر.

حدثنا: أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فَعَلِموا من القرآن وعَلِموا من السنة».

ثم حدثنا رسول الله عن رفع الأمانة فقال: «ينام الرجل، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيبقى أثرها مثل المجل كجمر دحرجته على رجلك فَنَفِطَ، فتراه مُنْتَبِرًا وليس فيه شيء».

www.mtenback.com

ثم أخذ رسول الله ﷺ حَصَى فدحرجه على رِجْلِه ثم قال: «فيصبح النـــاس يتبايعون، فلا يكادُ أحد يؤدي الأمانة، حتى يقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، حتـــى يقال للرجل: ما أجْلَدَهُ ما أظرَفَهُ! ما أعقله!. وما في قلبه مثقال حبة من خردل مـــن إيمان»[١٥].

فقول الرسول ﷺ «إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال» أي: أنزلهـــا الله في أصل قلوبهم، مع فطرتهم التي فطرهم عليها. يدلّ على معنى الفطرة في التكويـــنِ قوله: (نزلت) أي: نزلت من عند الله، كما جاء في نصوص: إنزال الكتاب، وإنـــزال الملائكة، وإنزال السكينة، وإنزال الماء، وإنزال الحكمة، وإنزال المن والسلوى، وإنـــزال الحديد، وإنزال الميزان وغير ذلك.

والمراد أن القلوب في أصلها مفطورة على معرفة الأمانة والميل إليها واستحسانها والنفرة من الخيانة واستقباحها.

والأمانة فضيلة تستند إلى قاعدة الحق وحب الحق مما فطر عليه النـــاس، كمـــا فطروا على كراهية الباطل والظلم والعدوان.

وحين تفسد هذه الفطرة فبسبب عوارض طارئة في حياة الإنسان، من هـــواه وشهوته، أو من ممارسته، أو بتأثير بيئته.

ويؤيد هذا قول الرسول ﷺ بعد ذلك «ثم نزل القرآن فعلموا مـــن القـــرآن وعلموا من السّنة».

أي: ثم نزل القرآن فبيّن للناس مايجب عليهم من حفظ الأمانة وعـــدم خيانتها، وجاء الإرشاد النبوي شارحًا ومفصلاً ومؤكدًا لما جاء في القرآن.

---

[١٥] البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسمـــاعيل: صحيـــح البخـــاري، دار ســـحنون، إســـتانبول، ط٢، (١٤١٣هـــ/١٩٩٢م)، كتاب الرقاق ٣٥ ص ١٨٨.

www.mtenback.com

فاجتمعت حول الإعلام بواجب الأمانة دلائل فطرة العقول والنفوس، ومشاعر أعماق القلوب وميلها الفطري، الأمر المعبّر عنه في الحديث بقول الرسول ﷺ: إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، وبيانات القرآن العظيم فيما اشتملت عليه آياته حول الأمانة وبيانات الرسول الكريم الشارحة والمفصّلة والمؤكدة لما جاء في القرآن.

أمّا ما حدّث به الرسول عن رفع الأمانة، فقد دلّ على ارتباط الإيمان بالأمانة وأن هذا الرفع إنما يأتي بسبب فساد فطرتهم التي فطرهم الله عليها، بمؤثرات من أهوائهم وشهواتهم وممارساتهم وبمؤثرات من البيئة وفساد أحوال الناس.

وقول الرسول: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت» يصور بقايا الخلق في القلوب عند حالات التغيير المفاجئ بتأثير التيارات الاجتماعية، والضلالات الفكرية، والانحرفات السلوكية، إذ تبقى رواسب الأخلاق بقايا يسيرة الشأن غير فعالة في توجيه السلوك.

والوكت هو الأثر اليسير القليل في الشيء كالنقطة التي تكون في الشيء على غير لونه. والوكتة في العين: نقطة حمراء في بياضها، أو نقطة بيضاء في سوادها[١٦].

وقول الرسول ﷺ: «ثم ينام النومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل المَجْل[١٧]، كجمر دَحْرَجْتَهُ على رجلك فَنَفِط[١٨]، فتراه مُنْتَبِرًا[١٩]، وليس فيه شيء».

يصوّر مرحلة من مراحل الانهيار الخلقي، وذلك بأن تصبح الأمانة اسمًا لا مسمى له في القلوب، ولا أثر له في السلوك، ويصبح الحديث عنها كلامًا فقط، ليس

---

[١٦] انظر: ابن سيده: المخصص مادة وكت.

[١٧] المجل: أن يكون بين الجلد واللحم ماء، إذا أصابته نار أو من مشقة العمل، انظر: الفيروزآبادي: القاموس المحيط مادة مجل.

[١٨] نفَط الجلد: أي ارتفع عن اللحم، امتلأ ماء بسبب النار أو العمل.

[١٩] منتبرًا: أي مرتفعًا.

www.mtenback.com

له حقيقة في الواقع، فإذا نظرت إلى مظهر الكلام عنها والدعاوى حولها، وجدتها منتفخة كبيرة، ثم إذا غمزتها في واقع تطبيقي عملي وجدتها فارغة هواء خواء كالنفطات التي ترتفع على الجلد من الحروق.

وضرب مثلاً على ذلك بقوله: «كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبراً وليس فيه شيء، ومثل صلوات الله عليه بحركة عملية إذ أخذ بيده حصى فدحرجه على رجله وسيلة إيضاح من الوسائل التعليمية التي استخدمها الرسول ﷺ واختار الرسول هذا المثل المُحْدِث للمجل لا الذي يحدث بسبب مشقة العمل، لأن مشقة العمل قد توحي بأن ضرورة الكدح في الحياة ولّدت ضعف الأمانة وارتفاعها.

لكن الجمر الذي يدحرجه الإنسان بإرادته على رجله يكشف أن هذا العمل لا تلجئ إليه الضرورة، إنما قد يدفع إليه اتباع الهوى، أو رغبة الاستكثار من الأموال، أو الركون إلى الذين ظلموا.

وبذلك ترتفع الأمانة، فيرتكب الإنسان الخيانة بمسؤولية تامة لا تخفيف فيها.

أما قوله: «فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة» فيصور أن قبض الأمانة لا يقتصر على أفراد يفتنون فلا يصمدون للامتحان بل يكون ظاهرة عامة.

ولا يكون ظاهرة عامة ما لم تفسد البيئة كلُّها أو جُلُّها، فالفساد المنتشر في المجتمع تنتقل عدواه إلى الأفراد بسرعة، حتى إن الرجل الأمين قد يتحوّل بين عشية وضحاها فتُقبض من قلبه الأمانة إلا قليلاً منها، كالنقطة الحمراء في بياض العين، ثم يُقبض هذا الأثر اليسير بين عشية وضحاها، فلا يبقى منه إلا مظهر أمانة كاذبة، أما التعامل في الحقيقة فبالخيانة لا بالأمانة.

ومع هذا الفساد المنتشر يندر وجود الأمين ندرة تشبه العدم - فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة.

www.mtenback.com

أما قوله حتى يقال: «إن في بني فلان رجلاً أمينًا» ففيه دلالة على أن ندرة الأمناء في الناس ستكون ندرة بالغة إلى حدّ أن يشار إلى الأمين واحدًا من أسرة في أعداد كثيرة من الأسر أو القبائل، وسائرهم لا أمانة عندهم ويختم الرسول حديثه بقوله: «حتى يقال للرجل: ما أجلده[٢٠]!، ما أظرفه[٢١]! ما أعقله[٢٢]! وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان».

فهو يربط الأمانة بالإيمان، إذ إن الناس يصفون الرجل بالجلد والظرف والعقل، وهو وصف قائم على أساس فساد مفاهيمهم من جهة، وخداعهم بما يتظاهرون به من عقل وظرف وجلد، دون أن يكون ذلك أثرًا لحقيقة في أعماقهم، إنما ينافقون الناس ويراؤونهم به.

إن الإيمان الصحيح هو الذي ينبع منه السلوك القويم في حياة الإنسان، وإذا لم يبق في القلب مثقال حبة من خردل من إيمان، لم يبق للإنسان سلوك قويم في حياته، ولكن يلجأ الأذكياء منهم إلى اصطناع المظاهر الخادعة التي يراها الناس فيمدحونه بها.

الأمانة بين التصرف والاختيار:

الأمانة فضيلة ضخمة لا يستطيع حملها الرجال الأشدّاء، وقد ضرب الله المثل لضخامتها فأبان أنها تثقل كاهل الوجود فلا ينبغي للإنسان أن يستهين بها أو يفرط في حقها. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً. لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[٢٣].

---

[٢٠] الجلد: الشدة والقوة.

[٢١] الظرف: البراعة والكياسة وذكاء القلب وحسن المنطق.

[٢٢] ما أعقله: تعجب من كثرة عقله وحصافته.

[٢٣] سورة الأحزاب: الآيتان ٧٢-٧٣.

www.mtenback.com

ونتساءل عن الأمانة التي عرضها الله عزّ وجل على السموات والأرض والجبال والإنسان فأبت السموات والأرض والجبال، وخفن وحذرن من حملها وما يترتب على حملها من مسؤولية ومحاسبة وجزاء، وحملها الإنسان واستعدّ أن يتحمل التبعة من حساب وجزاء!.

وللإجابة على هذا التساؤل لابدّ من تحليل للصفات التي تتمتع بها هذه الكائنات ولعناصر الأمانة، لإدراك الأمور التي جعلت السموات والأرض والجبال تأبى حملها، والتي جعلت الإنسان يقبل حملها، ويستعد لتحمّل التكليف حولها، وتبعة الحساب والجزاء بعد ذلك.

إنّ العرض يستلزم إدراك المعروض عليه حقيقة معنى ما يُعرض عليه أي: فهمه والعلم به، إذا كان على حقيقته وليس مجازًا.

والفهم لشيء ما يلزم وجود أداة الفهم أو جهاز الفهم لدى الفاهم، والاستعداد لإدراك وسيلة التفهيم، والإدراك قد يكون صفة للمخلوق دون أن تكون له إرادة واختيار وقدرة على تنفيذ شيء مما يريد.

وقد امتاز الإنسان عن المخلوقات الأخرى بخصائص التفكير ومعرفة صفات الأشياء، والعقل والإرادة الحرة وجملة من مطالب النفس وأهوائها وشهواتها ومقدار ما من القدرة على تنفيذ ما يريد في مقدار ما من الزمان والمكان، ضمن حدود هذه الحياة الدنيا.

وما امتاز به الإنسان من كل ما يستطيع التصرف بفعل الخير أو بفعل الشر هو أمانة وضعها الله تحت يده، بعد أن منحه الاستعداد الفطري لحمل هذه الأمانة.

وقد حمل الإنسان الأمانة بعد عرضها عليه، واستعد لأن يدخل رحلة الامتحان، ويتحمّل نتائج اختياراته التي يختارها فيحاسب ويجازى. وتقوم أعماله، وينظر إن كان

www.mtenback.com

قد استجاب لنداء فطرته، أطاع الأوامر والنواهي وازدجر بالزواجر والتحذيرات والإنذارات وخشي العقاب وطمع بالثواب، أم كان خائنًا فهضم الحقوق، ولم يؤدِ حقوق الأمانة التي حملها، ولم يستجب لنداء فطرته التي تناديه في جذور قلبه، ولم يطع الأوامر والنواهي ولم يزدجر رغم وفرة الزواجر والتحذيرات والإنذارات، ولم يخش الله وعقابه ولم يكترث للإطماع بثوابه العظيم ورحمته الواسعة يوم الدين؟

لقد أثبت الإحصاء بعد التجربة والامتحان أن النسبة العظمى من الناس قد كانوا:

أولاً: ظلومين لأنفسهم، وظلومين لحقوق الأمانات التي حملوها واستعدوا أن يدخلوا رحلة الامتحان حولها، وأن يتحملوا نتائج اختياراتهم فيحاسبوا ويجازوا عليها.

ثانيًا: جهولين، إذ ظلموا أنفسهم، ولم يُصغوا إلى نداء قلوبهم التي تناديهم من جذورها، ولم يُصغوا إلى نداءات الله ورسوله في البيانات والوصايا والتحذيرات والإنذارات والاجتماعات.

فصحّ أن يدمغ الإنسان بأنه كان ظلومًا جهولاً، نظرًا إلى واقع حال النسبة الغالبة من الناس. وهو ما كشفه العلم الرباني قبل وقوعه.

ولا يفهمن فاهم أن قول الله عز وجل بشأن الأمانة ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾ أن وصف الإنسان بأنه كان ظلومًا جهولاً من أجل أنه قبل تحمل الأمانة وحملها، بل من أجل أنه خان الأمانة بعد أن حملها وهذا هو المشاهد في سلوكه.

أما عرض الأمانة على السموات والأرض وإباؤهن أن يحملنها وإشفاقهن منها فهو لعدم وجود الاستعداد والقابلية الفطرية لتحمل الأمانة لدى هذه المخلوقات رغم

www.mtenback.com

كبرها وضخامتها؛ ولأنها لا تملك إرادة حرة حتى تختبر أمانتها أوخيانتها. أما الإنسان فما كان ليأباه لأنه يملك الاستعداد الكامل لحمل الأمانة.

وإلى هذا المعنى يشير محمود سامي البارودي قائلاً[٢٤]:

تِلْكَ الرَّوَاسِي كَمِ انحطّ النَّهارُ عَلَى ... أَقْصَى ذُرَاها وَكَمْ مَرّتْ بِها الظُّلَمُ

فَمَا فَرِحْنَ بِآلافِ الشُّموسِ ولا ... من ألفِ نَجْمٍ تَرَدّى مَسّهَا أَلَمُ

صمّاءُ بَكْمَاءُ لَمْ تَأْخُذْ ولا وَهَبَتْ ... ولا تَرَصَّدَهَا مَوْتٌ وَلا هَرَمُ

لَوْ أَوْدَعَ اللهُ إِيَّاهَا أَمَانَتَهُ ... لَنَالهنّ عَلَى استِيدَاعِها نَدَمُ

ومن هنا يظهر التكريم في الدنيا والآخرة للأمناء الذين حملوا الأمانة فأدوها كاملة، فهؤلاء الأمناء أثبتوا مقدرة الإنسان وتفوقه بإرادته على حمل الأمانة التي لم تستطع بقية المخلوقات العظيمة الجبارة أن تحملها.

يقول الشاعرالأعمى التُّطيليّ مادحًا ابن زهر ومبينًا هذا المعنى النفيس[٢٥]:

قَومٌ إِذا عَرَضُوا لِحَمْلِ أَمَانَةٍ ... أَيْقَنْتَ أَنَّ الفَضْلَ لِلإِنْسَانِ

وَإِذا فُلانٌ عُدَّ سَيِّدَ مَعْشَرٍ ... زَحَفُوْا لَهُ مِنْهُمْ بِأَلْفِ فُلانِ

ومدح الشاعر البوصيري أحد الولاة بقيامه بحق ولايته حق القيام وأدائه مسؤولية الولاية على تمامها بقوله[٢٦]:

يَكْفِيْهِ حَمْلُ الأَمَانَاتِ التي عُرِضَتْ ... على الجِبالِ فَكَادَتْ مِنْهُ تَنْفَطِرُ

---

[٢٤] البارودي، محمود سامي: ديوان البارودي، حققه علي الجارم، دار العودة، بيروت، (١٩٩٢م)، ص٦٠١.

[٢٥] الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة: ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت (د.ت)، ص ١٩٨.

[٢٦] البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد: ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، (١٣٧٤هـ/١٩٥٥م)، ص٨٨.

www.mtenback.com

خَـافَ الإلَـهَ فَخَافَتْـهُ رَعِيَّـتُهُ والمَرْءُ يُجْزَى بِما يَـأتِي ومَـا يَـذَرُ

الأمانة من أبرز أخلاق الرسل:

إذا كانت الأمانة خلقًا عظيمًا في سائر الناس لما لها من الأثر العظيم في صـلاح الدين والدنيا - ولذا كانت واجبة على كل إنسان - فإنها في أنبياء الله ورسله أعظـم، وفي حقهم أوجب وألزم، بل هي من الأخلاق الأساسية الأربعة التي يجب توافرها فيهم وهي: الصّدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة».

وقد فطرهم الله تعالى عليها ليرشحهم بها لحمل رسالته إلى خلقه، وقد كـانوا مضرب المثل في التحلّي بهذه الأخلاق العظيمة. فلو لم يكونوا أمناء لما اسـتأمنهم الله على رسالاته لخلقه.

ففي شأن هود عليه السلام يقول الله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلا تَتَّقُونَ. قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٢٧].

فعرض هود لقومه من صفاته أنه أمين، وهذه الصفة من صفاته لابد أن تكـون معروفة لديهم قبل أن يبعثه الله رسولاً، ومن شأن الأمين أن يكون موثوقًا به في نقـل الأخبار وتبليغ الرسالات.

ويقص الله علينا قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، في سورة (الشعراء) ويخبرنا بأن كل رسول من هؤلاء قد قال لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾[٢٨].

---

[٢٧] سورة الأعراف: الآيات ٦٥-٦٨.

[٢٨] سورة الشعراء: الآية ١٠٧.

www.mtenback.com

وكذلك شوهدت مخايل الأمانة على موسى – عليه السلام – حين سقى لابنتي شعيب عليه السلام – ورفق بهما واحترم أنوثتهما وكان معهما عفيفًا شريفًا، قال تعالى: ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ. فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾[٢٩]. وقد حدث هذا قبل أن ينبأ موسى ويرسل إلى فرعون.

ورسولنا محمد ﷺ كان في ذروة الذرى من خلق الأمانة وكماله فيها فاق كل كمال كما تشهد بذلك الوقائع والدلائل.

فقد نشأ يتيمًا مطبوعًا على الصدق والأمانة لا يعرف لهما بديلاً منذ نشأته وترعرعه وهو لا يكاد يعرف في أوساط قومه إلاّ بالأمين، فيقولون جاء الأمين وذهب الأمين[٣٠] حتى حلّ محل الرضا في قلوبهم وعقولهم، كما دلّ على ذلك احتكامهم إليه في قصة رفع الحجر الأسود عند بنائهم الكعبة المشرفة بعد تنازعهم في استحقاق شرف رفعه ووضعه في محله، حتى كادوا يقتتلون لولا اتفاقهم على تحكيم أول داخل يدخل المسجد الحرام فكان ذلك الداخل هو محمد ﷺ المرضي لديهم جميعًا، فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا، هذا محمد، فلما انتهى إليهم وأخبروه الخبر قال ﷺ هلمّ إليّ ثوبًا، فأتي به فأخذ الحجر فوضعه فيه بيده الطاهرة، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا ففعلوا، حتى إذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه – قال ابن هشام: وكانت قريش تسمّي رسول الله ﷺ قبل أن ينزل عليه الوحي الأمين[٣١].

---

[٢٩] سورة القصص: الآيات ٢٤-٢٦.

[٣٠] ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبدالملك: السيرة النبوية، القاهرة، (١٣٣٠هـ/١٩١٤م) ج١/٢٠٧.

[٣١] المصدر السابق.

www.mtenback.com

بل لقد جعلتهم ثقتهم الكبيرة بأمانته ﷺ ينقلون إلى بيته أموالهم ونفائس مدخراتهم لتكون وديعة عنده، فكان ليس بمكة أحد عنده شيء يخشى عليه إلا وضعه عنده؛ لما يعلم من صدقه وأمانته، ولم يزل ذلك دأبهم حتى بعد معاداته بسبب دعوته لهم إلى الإيمان بالله تعالى وترك عبادة الأوثان، ولا يختلجهم شكّ في أمانته، وهم له معادون، كما دل على ذلك تركه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في مكه بعد هجرته عليه الصلاة والسلام ليرد ودائع الناس التي كانت عنده، فأقام علي بن أبي طالب بمكة ثلاث ليالٍ وأيامها حتى أدى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ[٣٢].

ولقد شهد له ﷺ بالأمانة الأعداء والأصدقاء على حدّ سواء، وذلك دليل على شيوع هذا الخلق فيه وتسليمٌ الكلّ له به.

فأبو سفيان زعيم مكة لمّا كان قبل إسلامه أمام هرقل ملك الروم لم يستطع أن يخفي هذا الخلق العظيم، وهو الحريص على أن يغمطه حقه أو يطعن فيه بدافع العداء له حينذاك، ولكن لما سأله عما يأمر به النبي ﷺ أجابه أبو سفيان بأنه «يأمر بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة»[٣٣].

ولّما أمره الله تعالى أن يصدع بدعوته وقف ﷺ على جبل الصفا مناديًا قومه: «يا معشر قريش؛ فأقبلوا واجتمعوا فقال: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل، أكنتم تصدقونني؟ قالوا: نعم؛ أنت فينا غير متهم، وما جربنا عليك كذبًا قط»[٣٤].

---

[٣٢] ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٢٣٧.

[٣٣] أخرجه البخاري في الشهادات، صحيح البخاري ٣/٢٣٦ الحديث رقم ٢٦٨١.

[٣٤] ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهريّ: الطبقات الكبرى، تحقيق: إدوارد شيخو، مطبعة ايريل، ليدن، (١٩١٧م)، ١/٢٠٠.

www.mtenback.com

أما شهادة الأقرباء والأصدقاء فمنها ما قاله كافله عمّه أبو طالب[٣٥]:

إِنَّ الأَمِينَ مُحَمَّدًا في قَوْمِهِ عِنْدِي يَفُوْقُ مَنَازِلَ الأَوْلاَدِ

ويذكر أبو طالب خلق محمد وأمانته ومحبة قومه له لما تحلّى به من الأخلاق[٣٦]:

أَمِينٌ حَبِيْبٌ في العِبَادِ مُسَوَّمٌ بِخَاتَمِ رَبٍّ قَاهِرٍ للخَوَاتِمِ

ومن ذلك ما قالته خديجة رضي الله عنها له عليه الصلاة والسلام عند ابتداء تنزّل الوحي: «.. فو الله إنك لتؤدّي الأمانة وتصل الرحم وتصدق الحديث»[٣٧].

ومن ذلك ما شهد به جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في قصته مع النجاشي ملك الحبشة حين سأله عن الدين الذي اعتنقوه، فكان من إجابته له قوله: «حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته»[٣٨].

هكذا كان النبي صلي الله عليه وسلم معروفًا بالأمانة لدى الناس كافة ممن عرفه أو سمع عنه وأمانة الرسول لم تقتصر على المسلمين وحدهم، وإنما شملت العدو والصديق وتعلّم المسلمون منه ذلك فأجمعوا على أن الأمانة تؤدى للبر والفاجر والمسلم والكافر والمسالم والمحارب[٣٩].

ولا غرو في أن يكون النبي ﷺ بتلك الدرجة من الأمانة؛ لأن الله تعالى قد أراد منه أن يكون خاتم أنبيائه ورسله إلى الخلق كافة، ولا يقوم بذلك إلا أمين كامل الأمانة، ينال ثقة الناس فيستجيبون له ويؤمنون به.

---

[٣٥] أبوطالب، عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم: ديوان أبي طالب، جمعه وعلق عليه: عبد الحق العاني، دار كوفان للنشر، المملكة المتحدة، فنلندة، ط١، (١٤١١هـ/١٩٩١م).

[٣٦] المصدر السابق: ص ١٠٨.

[٣٧] ابن هشام: السيرة النبوية، ٢/٨٧.

[٣٨] المصدر السابق: ٢/٨٧.

[٣٩] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد الثالث، ص ١٦٦.

www.mtenback.com

ولقد تمثل خلق الأمانة فيه ﷺ بكل معانيها بعد بعثته كتمثله فيه قبل ذلك بل بأوضح من ذلك وأجل.

فلقد ائتمنه الله تعالى على تبليغ شرعه وسياسة خلقه، فقام بذلك حق القيام حتى رضي الله عنه وعن بلاغه المبين وشهد له بأنه أدى الأمانة وبلغ الرسالة كما وصلت إليه حتى تم الدين وذلك حين قال سبحانه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ (٤٠).

يقول الصحابي الشاعر العباس بن مرداس يذكر أمانته على وحي الله وقرآنه(٤١):

نَبِيٌّ أَتَانَا بَعْدَ عِيْسَى بِنَاطِقٍ ... مِنَ الحقِّ فيهِ الفَصْلُ منه كَذَلِكَا

أَمِينًا على الفُرْقَانِ أَوَّلَ شَافِعٍ ... وآخرَ مبعوثٍ يُجِيْبُ الملائِكَا

العرب والأمانة:

عرف العرب للأمانة حقها وللأمين منزلته، فأشادوا بها ورفعوا مكانة الأمناء، وجعلوها من الصفات الرئيسة التي يسوّدون بها شيخ القبيلة، فمدحوا أنفسهم وقومهم بحملها والاتصاف بها.

قال لبيد(٤٢):

وَإِذا الأَمَانَةُ قُسِّمتْ في مَعْشَرٍ ... أَوْفَى بِأَوْفَرِ حَظِّنَا قَسَّامُها

وأداء الأمانة عندهم كان من أعظم مظاهر الوفاء؛ ولذا فقد كانوا يتفاخرون بذلك تفاخرهم بأكرم الخلال.

---

(٤٠) سورة المائدة: الآية ٣.

(٤١) العباس بن مرداس: ديوانه، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص١٢٠.

(٤٢) لبيد بن ربيعة العامري: ديوان لبيد، دار صادر، بيروت، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص١٨٠.

www.mtenback.com

يقول زهير[٤٣]:

وحِفْظِي للأمانَةِ واصْطِبَارِي ... عَلَى مَاكَانَ مِنْ رَيْبِ الزَّمَانِ

ويقول النابغة[٤٤]:

سَأَرْعَى كُلَّ ما اسْتُودِعْتُ جَهْدِي ... وَقَدْ يَرْعَى أَمَانَتَهُ الأَمِيْنُ

ومدحوا بها زعماءهم ووجوههم؛ فمن ذلك قول زهير في مدح هرم بن سنان [٤٥]:

حَامِي الذِّمَارِ عَلَى مُحَافَظَةِ الـ ... ـجُلَّى أَمِيْنُ مُغَيَّبِ الصَّدْرِ

ومدح الفرزدق يزيد بن عبد الملك بما يتمتع به من صفات تؤهله لتحمل الأعباء الثقيلة والعزائم الشديدة وحمل الأمانات العظيمة قائلاً[٤٦]:

وَلَوْ كَانَ بَعْدَ المُصْطَفَى مِنْ عِبَادِهِ ... نَبِيٌّ لَهُمْ مِنْهُمْ، لأَمْرِ العَزَائِمِ

لَكُنْتَ الَّذِي يَخْتَارُهُ اللهُ بَعْدَهُ ... لِحَمْلِ الأَمَانَاتِ الثِّقَالِ العَظَائِمِ

وقد حضوا على أداء الأمانة وعدم الطمع بها والتضحية من أجلها ولو كان الثمن الموت في سبيلها، يقول الأعشى[٤٧]:

---

[٤٣] زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير، صنعة الإمام أحمد بن يحيى ثعلب، القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، (١٣٦٣هـ/١٩٤٤م)، ج٢، ص ٣٤٨.

[٤٤] النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية: ديوان النابغة، الشركة التونسية للتوزيع، (١٩٧٩)، ص٢٦٢.

[٤٥] زهير بن أبي سُلْمَى: ديوانه، ج١، ص٩٠.

[٤٦] الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة: ديوان الفرزدق، شرحه إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، (١٩٨٣م)، ج٢، ص٥١٦.

[٤٧] أعشى قيس، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل: ديوان أعشى قيس، تحقيق: كامل سليمان، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ص٢١٨.

www.mtenback.com

وَإِنِ امـــرُؤٌ أَسْـــدَى إِلَيْـــكَ أَمَانَـــةً فَأَوْفِ بِها إِنْ مِـــتّ سُـــمِّيتَ وَافِيَـــا

أما وفاء القوم لمن يصطفونهم لثقتهم ويختصونهم لأمانـــاتهم. فمـــن أمثلتـــه السموءل في خبره المشهور وكان امرؤ القيس قد استودعه سلاحه، فسار إليه الحـــارث ابن شمّر الغسّاني بطلبه فأغلق الحصن دونه، فأخذ الحارث ابنًا لـــه وقتلـــه وضحـــى السموءل بابنه ووفى بعهده وحفظ أمانته. وقد صوّر الأعشى تضحية السموءل بابنـــه حفاظًا على أمانته قائلاً[٤٨]:

شُرَيْحُ لاتَـــتْرُكَنّي بَعْدَمَـــا عَلِقَـــتْ حِبَالُكَ اليومَ بَعْـــدَ القِـــدّ أَظْفَـــارِي

كُن كالسّمَوْءَلِ إِذْ طَافَ الهُمَامُ بِـــهِ في جَحْفَلٍ كَسَـــوَادِ اللّيـــلِ جَـــرّارِ

بالأبلقِ الفَـــرْدِ مِـــن تَيْمَـــاءَ مَنْزِلُـــهُ حِصْنٌ حَصِيْنٌ وجَـــارٌ غَـــيْرُ غَـــدّارِ

إِذْ سَامَهُ خُطّتَي خَسْفٍ، فقَـــال لَـــهُ: مَهْمَا تَقُلْهُ فَـــإِنّي سَـــامِعٌ حَـــارِ[٤٩]

فقال: ثُكْلٌ وغَـــدرٌ أنـــتَ بَيْنَهُمَـــا فاخْتَرْ، وما فِيهِمَـــا حَـــظٌ لِمُخْتَـــارِ

فَشَكّ غَيْرَ قَلِيْـــلٍ ثُـــمّ قَـــالَ لَـــهُ: اذبَحْ أَسِـــيْرَكَ إِنّـــي مَـــانِعٌ جَـــارِي

هَذَا لَـــهُ خَلَـــفٌ إِنْ كُنْـــتَ قَاتِلَـــهُ وإِنْ قَتَلْـــتَ كَرِيمًـــا غَـــيْرَ خَـــوّارِ

فَقَـــالَ تَقْدِمَـــةً إِذْ قَـــامَ يَقْتُلُـــهُ أَشْرِفْ سَمَوْءَلُ فَانْظُرْ لِلدّمِ الجَـــارِي

أَأَقْتُلُ ابْنَكَ صَـــبْرًا أَوْ تَجِـــيءَ بِـــهِ طَوْعًـــا؟ فَـــأَنْكَرَ هَـــذا أيَّ إِنْكَـــارِ

فَشَكّ أَوْدَاجَهُ والصَّـــدْرُ في مَضَـــضٍ عليـــه، مُنْطَوِيًـــا كَـــالّلذْعِ بالنـــارِ

---

[٤٨] الأعشى: ديوانه، ص٦٩.

[٤٩] أي حارث وقد رخم الاسم بعد النداء.

www.mtenback.com

وَاخْتَارَ أَدْرَاعَـــهُ أَنْ لا يُسَـــبَّ بِهَـــا وَلَمْ يَكـــنْ عَهْـــدُهُ في غـــيرِ مختـــارِ
وقال: لا أَشْـــتَرِي عَـــارًا بِمكْرُمَـــةٍ فَاخْتَارَ مَكْرُمَةَ الدُّنْيـــا علـــى العَـــارِ
والصَّبْر مِنْـــهُ قديمًـــا شـــيمةٌ خُلُـــقٌ وَزَنْدُه في الوَفَـــاءِ الثَّـــاقِبُ الـــوارِي

وتبرز أمامنا في هذا المقام معركة ذي قار التي انتصر فيها العرب على الفـــرس، وذلك أن كسرى لما طلب النعمان بن المنذر طفق النعمان يطـــوّف قبـــائل العـــرب مستجيرًا، وليس أحد منهم يقبله خوفًا من عاقبة الأمر، حتى نزل في ذي قار في بـــني شيبان سرًا، فلقي هانئ بن مسعود الشيباني، وكان سيّدًا منيعًا، فاستجار به فأجـــاره، فاستودعه النعمان حلقته وأهله وألف قطعة من سلاحه. ثم مضى إلى كسرى، فلمـــا قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة وما كان عليه النعمان، وبعث إليه أن يجمع ما خلفه النعمان ويرسله إليه. فبعث إياس إلى هانئ بـــن مســـعود يأمره بأن يرسل إليه ما استودعه النعمان من الدروع وغيرها، وقال له: لا تكلفـــني أن أبعث إليك ولا إلى قومك بالجنود فتقتل المقاتلة وتسبي الذّرية. فبعث إليه هانئ يقول: إن الذي بلغك باطل، وما عندي قليل ولا كثير وإن يكن الأمر كما قيل: فأنـــا أحـــد رجلين: إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردّها على من أودعه إياها، ولـــن يســـلم الحرّ أمانة. أو رجل مكذوب عليه، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدوٍ أو حاسد. فلمـــا منعها هانئ غضب كسرى، ثم أخذت بكر بن وائل تغير في السواد، فعـــزم كســـرى على إهلاكهم. فلما بلغ الخبر بكر بن وائل سار هانئ بن مسعود حتى انتهـــى إلى ذي قار فنزل به ثم بعث إلى من يليهم من بكر فتوافـــدوا لنجدتهم حتى قدم حنظلة بـــن ثعلبة سيدهم، فكان مما قاله لهانئ بن مسعود: يا أبا أمامة؛ إن ذمتكم ذمتنـــا عامـــة، وإنه لن يوصل إليك حتى تفنى أرواحنا، فأخرج هذه الحَلْقَة فَفَرِّقْها بين قومك، فـــإن تظفر فترد عليك، وإن تهلك فأهون مفقود. وكان ما كان من تسابق فرسان العـــرب

www.mtenback.com

على الموت ذوداً عن ذمهم وقيمهم والمثل العليا التي آمنوا بها حتى كانت الغلبة لهم، وطاردوا الفرس وأحلافهم من العرب حتى شارفوا السواد ودخلوه في طلب القوم، وفي ذلك اليوم يقول أعشى قيس مفتخراً[٥٠]:

لَو أَنَّ كُلَّ مَعَدٍّ كَانَ شَارَكَنَا ... في يَومِ ذِي قَارِ مَا أَخْطَاهُمُ الشَّرَفُ

وظلّ يوم ذي قار مفخرة للعرب ترويها الأجيال للأجيال تربية واعتزازاً.

ولعظم الأمانة وثقلها نصح العرب بإسناد الأمانة إلى أهلها، يقول عبيد بن الأبرص[٥١]:

إِذَا أَنْتَ حَمَّلْتَ الخَؤُوْنَ أَمَانَةً ... فإنّك قَدْ أَسْنَدْتَهَا شَرّ مُسْنَدِ

ومن أمثلة رعاية بعض القوم لأماناتهم حديث عبد الله بن جدعان وكان أحد كبار سادات قريش في الجاهلية وأحد كبار حكمائها وكرمائها وأثريائها. وكان من وفائه أن العرب كانت إذا قدمت عكاظًا دفعت أسلحتها إليه حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم، ثم يردها عليها إذا ظعنوا من مكة إلى مضارب قومهم. فلما هاجت حرب الفجار بين كنانة وهوازن وجاء حرب بن أمية - أحد سادات قريش - إلى عبد الله بن جُدعان وقال له: احتبس قبلك سلاح هوازن فقال له ابن جدعان: أبالغدر تأمرني يا حرب والله لو أعلم أنه لا يبقى منه سيف إلا ضُربتُ به ولا رمح إلا طُعنتُ به ما أمسكتُ منه شيئًا[٥٢].

واطمأنت نفوس العرب للأمين صديقًا كان أو عدوًا، ونفض العرب أيديهم من الخائنين وصوروهم بأبشع الصور. قال بعضهم هاجيًا[٥٣]:

---

[٥٠] جاد المولى، محمد أحمد: أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، (١٣٦١هـ/١٩٤٢م)، ص٧٩.

[٥١] ديوان عبيد بن الأبرص، ص٥٥.

[٥٢] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ط٤، (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، ٦٦/٢٢.

[٥٣] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ص٥٧٧.

www.mtenback.com

هُو الذِّئْبُ أَو لَلذِّئْبُ أَوْفَـــى أَمَانَـــةً وَمَـــا مِنْهُمَـــا إِلاّ أَذَلُّ خَـــؤُوْنُ

وبين عبيد الأبرص أن الخؤون كان بينهم متحنبًا[٥٤]:

وَجَدْتُ خَؤُوْنَ القَوْمِ كالعُرِّ يُتَّقَـــى وَمَا خِلْتُ غَـــمَّ الجـــارِ إلا بِمَعْهَـــدِ

وتؤكد هذا النفور شكاة الأعشى من الجار الخائن[٥٥]:

وجَـــارٍ أُجَـــاوِرُهُ إِذ شَـــتَوْ تُ، غَـــيرِ أَمِيْـــنٍ ولا مُؤْتَمَـــنْ

موقف الإسلام من خلق الأمانة:

لقد فرض الإسلام على المسلمين الأخذ بخلق الأمانة، وحرّم عليهم أن يسلكوا مسلك الخيانة، فمن كان أمينًا كان مطيعًا لربه في إسلامه ومن كان خائنًا كان عاصيًا لربه في إسلامه.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾[٥٦]، ففي هذه الآية أمر جازم بتأدية جميع أنواع الأمانات التي تقع تحت سلطة كل واحـــدٍ منـــا إلى أهلها، أي إلى أصحابها ومستحقيها.

ويقول الله تعالى في بيان صفـــات المفلحـــين: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٥٧].

---

[٥٤] ديوان عبيد بن الأبرص، ص٥٥.

[٥٥] الأعشى: ديوان الأعشى، ص٢١٠.

[٥٦] سورة النساء: الآية ٥٨.

[٥٧] سورة المؤمنون: الآية ٨.

www.mtenback.com

وهذا نص عام يدخل فيه كل أنواع ما يجب على الإنسان أداؤه من حقوق هو مستأمن عليها وملزم بأدائها لذوي الحقوق فيها سواء أكانت حقوقًا لله تبارك وتعالى أم لخلقه. وقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يربط الأمانة بالإيمان ففي الحديث: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[٥٨].

فنفى الإيمان بتاتًا عن فاقد الأمانة، لأن الذي يزع على أدائها والمحافظة عليها هو الإيمان، فإذا فقد الإيمان لم يبق عنده وازع لذلك، فالأمانة مظهر هذا الإيمان القلبي وترجمانه الواقعي، فمن ضيعها فذلك دليل على فقد الأصل الذي تنبع منه الأمانة وهو الإيمان، وهذا ملموس ومشاهد، فكم نرى من خيانة عند فاقدي الإيمان على مستوى الأفراد والجماعات.

وفي حديث آخر: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم»[٥٩].

فقد ربط رسول الله ﷺ الأمانة وكون الإنسان مأمون الجانب بالإيمان وجعل عدم الأمانة مؤثرة في صحة الإيمان.

وفي الأبواب السلوكية، ناط عليه الصلاة والسلام سلوك المرء الذاتي والاجتماعي بالأمانة وبين أن المرء مسؤول عن سلوكه في نفسه، وسلوكه في مجتمعه لأن كل ذلك أمانة عنده وهو مسؤول عن أمانته وذلك حيث قال عليه الصلاة والسلام: «كلكم راعٍ ومسؤول عن رعيته، فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيتها، والخادم في مال سيده راع وهو مسؤول عن رعيته»[٦٠].

---

[٥٨] رواه الإمام أحمد في مسنده، ١٣٥/٣.

[٥٩] رواه الترمذي وسنن الترمذي، كتاب القيامة، الباب رقم ٥٢.

[٦٠] أخرجه البخاري في الأحكام، صحيح البخاري ٧٧/٩ ومسلم في باب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل برقم: ١٨٢٩.

www.mtenback.com

فقد سمّى النبي ﷺ جميع من ذكر رعاة، والراعي هو الحافظ المؤتمن الملتزم صلاح ما قام عليه وماهو تحت نظره، وأتى بذلك بأسلوب تمثيل ليس في الباب ألطف ولا أجمع ولا أبلغ منه، فإنه أجمل أولاً ثم فصّل وقد دخل في عمومه حتى المنفرد الذي لا زوج له ولا خادم ولا ولد فإنه يصدق عليه أنه راعٍ على جوارحه حتى يعمل المأمورات ويجتنب المنهيات فعلاً ونطقًا واعتقادًا فجوارحه وقواه وحواسه رعيته.

وقد نهى الإسلام عن خيانة الأمانات كلها وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٦١].

فقد تضمنت الآية النهي عن خيانة الله وهي الإخلال بحقوق ما استأمننا عليه وأعطيناه فيه عهد الأمانة منذ أعلنا الإسلام والتزمنا به وتضمنت أيضًا النهي عن خيانة الرسول ﷺ وأن حقوقه تابعة لحقوق الله ومن حقوقه على المؤمنين برسالته اتباع شريعته وعدم معصية ما أمر به أو نهى عنه.

وتضمنت أخيرًا النهي عن خيانة الأمانات كلها فتشمل ما يتعلق بحقوق كل أمانة نحن مستأمنون عليها.

وقد جعل الرسول ﷺ الخيانة من علامات النفاق، فمن ذلك ما روى مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[٦٢]. فالأمانة من صفات المؤمنين وهي من صفات محبي الحق وحافظي الذمم.

ولما كان أمر خيانة العهد والمواثيق أمرًا خطيرًا أمر الله رسوله بأن يعلن للكافرين نبذ عهودهم ويشعرهم بأن يستعدوا للمواجهة على صعيد سواء لا خيانة فيه ولا غدر،

---

[٦١] سورة الأنفال: الآية ٢٧.

[٦٢] مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، كتاب الإيمان، حديث رقم ٢٧، م١/٥٦.

www.mtenback.com

متى خاف الرسول من خيانتهم وغدرهم ومحاولتهم أن يأخذوا المسلمين على حين غرّة بينما هم في عهد أمان مشترك. قال الله تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾[٦٣].

فالمسلمون يعلنون للكافرين إلغاء عهودهم وينبذونها إليهم متى رأوا أمارات الخيانة والغدر ظاهرة في تصرفاتهم؛ وذلك حتى لا يستغل عدوّهم طيبتهم ووفاءهم فيأخذهم على حين غرّة. ولكن لا يجوز للمسلمين أن ينقضوا عهودهم دون سابق إعلام وإنذار، ثم عليهم بعد الإعلام أن يتركوا لعدوهم فرصة يتدبرون بها أمرهم، ويأخذون بها حذرهم واحتياطاتهم، هذا ما لم تكن المبادرة من قبل عدوهم، فإن كانت بادرة النقض من قبل العدو للمسلمين حينئذٍ عليهم أن يقابلوا النقض بالنقض دفاعًا عن أنفسهم.

مجالات الأمانة:

أمانة الجسد

الإنسان جوهرة نفيسة، وهو أكرم مخلوق على هذه الأرض؛ لأنه نفخة من روح الله تعالى، خلقه الله تعالى وأعطاه الأمانة لتحقيق الاطمئنان إليه، فالإنسان كائن مستخلف في هذه الأرض، وإن أعلى درجات الاستخلاف هي المسؤولية، وإن أول عتبات المسؤولية هي مسؤولية الإنسان عن نفسه وعن عقله ماذا يدخل فيه من الأفكار، وعن جسده بكل أجهزته، كيف يلبي حاجتها ويوازن بينها.

ويتكون الجسد البشري من الهيكل العظمي، والجهاز الدوري - أي الدوران - والجهاز التنفسي، والجهاز العصبي، والجهاز الهضمي، والجهاز التناسلي، وهذه أجهزة الجسد الأساسية. وثمة أجهزة أخرى مثل أجهزة السمع والبصر والشمّ.

---

[٦٣] سورة الأنفال: الآية ٥٨.

www.mtenback.com

ولقد ذكر القرآن الكريم أن الإنسان مسؤول عن نعم الله عليه قال تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾[٦٤]. وبين ﷺ بعض أهم النعم التي يسأل عنها العبد يوم القيامة فقال: «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيمَ فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن جسمه فيمَ أبلاه»[٦٥].

وهذا نوع من أنواع الأمانة الجسدية، حيث يسأل الفرد يوم القيامة عن جسده خاصة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾[٦٦].

ونعم الله تعالى على الإنسان كثيرة وأكثر من أن تحصى، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾[٦٧]، ومنها نعمة الجسد فلقد منّ الله تعالى على ابن آدم بجسد معتدل يمتاز عن سائر الأجساد شكلاً فقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[٦٨]، أما من حيث المضمون فقد كرم الله تعالى الإنسان بعقل نيّر يحفظ به هذا الجسد وسائر النعم.

وهذا الجسد أمانة كله فيما يستعمل فيه وأهم النعم نعمة السمع ونعمة البصر، والشم، واللمس، والذوق وهذه أمور ظاهرة.

وهناك أمور داخلية لا يعرف قدرها وأهميتها إلاّ العلماء الذين يسبرون أعماق الجسد ويقفون على بديع صنعه وعظيم حكمته.

---

[٦٤] سورة التكاثر: الآية ٨.

[٦٥] رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة حديث رقم ٢٤١٧.

[٦٦] سورة الإسراء: الآية ٣٦.

[٦٧] سورة إبراهيم: الآية ٣٤.

[٦٨] سورة التين: الآية ٤.

www.mtenback.com

وبهذا الجسد الذي يوجهه العقل يسخر الكون كلّه من حوله. ولـــذا كـــانت صحة الجسد وسلامته من أعظم الأمانات، وحفظ الجسد موقوف على حسن تدبـــير المطعم والمشرب والملبس والمسكن والهواء والنوم واليقظة والحركة والسكون والمنكح.

وقد يظلم الإنسان نفسه أكثر مما يظلمه غيره، بشعور أو بـــلا شـــعور، رغـــم حرصه الشديد عليها وقد يناصبها العداء وهو لا يدري.

فمن أبرز مواطن الضعف التي فطر عليها الإنسان الاستجابة لشهوات النفـــس والانقياد لها، فتراه يستجيب إليها وهو لا يبالي بما يصيبه من ضرر.

فترى رجلاً قد افتتن بشرب الخمر، فيعمى في سبيله ويتحمل لأجلـــه الضـــرر الفادح في صحته ونفسه وماله وربما في عرضه وكرامته وشرفه.

وآخر قد أولع بلذة الطعام، يأكل كل ما يجد من نافع أو غير نافع ويعرض نفسه للهلاك في سبيله والسخرية منه.

وثالثًا صار عبدًا لشهواته النفسية، يأتي بأعمال تجره إلى الهلاك جرًا، كمن افتتن بالنساء، فأطلق لنفسه الحبل على الغارب، فوقع بالتالي ضحية الزنا وأمراضه.

ورابعًا قد أهمته نجاة نفسه، فانقطع إلى تزكية روحه وترقيتها، فهـــو ينـــاصب نفسه العداء، ويريد أن يدوس كل ما تتطلع إليه من اللذائذ والشهوات، ويأبى أن يحقق لها حاجتها، فيتجنب الزواج ويأنف الأكـــل والشـــراب، وربمـــا أوى إلى الغابـــات والكهوف كما يفعل بعض رهبان أهل الكتاب والبوذيين سابقًا وحاضرًا.

إلا أن الوسطية والاعتدال في تلبية حاجات الجسد يكون فيها حفظه وســـلامته. وفي الحديث: «فإن لزوجك عليك حقًا ولزوارك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا»[٦٩].

---

[٦٩] رواه مسلم في كتـــاب الصيـــام، باب النهي عن صـــوم الدهر لمن تضرر به أو فـــوّت بـــه حقًـــا، حديث رقم ١١٥٩.

www.mtenback.com

ومن أهم مسؤوليات الفرد عن أمانة الجسد تغذيته، لأن الغذاء مصدر الطاقة والحيوية والنمو، به يقوم وينهض بواجباته وبدونه يضعف وتقلّ حركته وربما أدى ذلك إلى إنهاكه وسقمه.

فالامتناع عن تناول الطعام إقدام على إفناء الجسد بطريقة غير مباشرة، وهذا ما يفعله بعض أصحاب المطالب من السجناء ونحوهم إذ يمتنعون عن الطعام أيامًا، معرضين أنفسهم للهلاك، حتى تتحقق مطالبهم وأهدافهم.

كما أن على الإنسان أن يحصل على الغذاء ما كان نافعًا للجسد غير ضار، فإن الإقدام على تغذيته بما هو ضار إيذاء له، فالغذاء الجسدي مسؤولية وأمانة قائمة واجبة على الإنسان.

ويعدّ الجهاز التناسليّ من أخطر أجهزة الجسم مسؤولية في حياة الإنسان؛ لأنه أداة الفتنة التي حذر منها النبي ﷺ ووصفها بأنها أعظم فتنة على الرجال ففي الحديث «ما أدع بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء»[٧٠].

وكذلك الحال بالنسبة للنساء لأن علة الفتنة واحدة وهي الغريزة الجنسية، وبهذا تكون مراعاة الأمانة في هذا الجهاز بالتزام العفة من الطرفين الرجال والنساء - وعدم استخدامه إلا فيما هو مباح شرعًا.

والزنا من الممارسات التي تخل بأمانة الجسد وتعمل على إتلافه. فقد اكتشف العلم الحديث أمراضًا عديدة يحدثها في الجسد منها: الزهري، والسيلان، وأخطرها الإيدز وهو مرض خطير اكتشف مؤخرًا وأصبح معروفًا لدى الأوساط العلمية ويعني فقدان المناعة في الجسد، ويؤدي بصاحبه إلى الموت في الغالب. وقد ظهر هذا المرض بصورة واضحة جلية بين الشواذ جنسيًا وهو سريع العدوى عن طريق اللقاء الجنسي،

---

[٧٠] رواه ابن ماجة في كتاب الفتن باب: فتنة النساء حديث رقم ٣٩٩٨.

www.mtenback.com

مما أثار الرعب والهلع في قلوب المجتمعات الإباحية المشجعة على الرذيلة، وهذا ما جعل المنصفين منهم ينادون بالتمسك بالفضيلة عن طريق الرجوع إلى الدين والأخلاق[٧١].

فالزنا مهلكة للجسد أي مهلكة، فضلاً عن ضرره الكبير على المجتمع، كانحلال الأخلاق وإفساد الأزواج واختلاط الأنساب وانحلال النسل وتفشي الأمراض والفتن التي تنشأ إثر ذلك. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾[٧٢].

قال القرطبي: قال العلماء: قوله تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ أبلغ من أن يقول ولا تزنوا، فإن معناه لا تدنوا من الزنا[٧٣] والمعنى يحرم عليكم معاشر المؤمنين - كل ما يؤدي إلى الزنا من قريب أو من بعيد كسماع ونظر وغيره.

والزواج أول سبل الوقاية من الفاحشة وهو التلبية الصحيحة لنداء الفطرة - الغريزة الجنسية - والإسلام دين الفطرة فقد حث عليه ورغب فيه محذراً من فتنة النساء وذلك إغلاقًا لباب الشهوة المتمادية وإبقاء منه على حفظ الفرج وعفته، قال ﷺ: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة[٧٤] فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»[٧٥]. وخاطب أولياء الفتاة بقوله: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»[٧٦].

---

[٧١] انظر: ياسين، محمد نعيم: الوجيز في الفقه الجنائي الإسلامي، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط١، (د.ت)، ص٨٣.

[٧٢] سورة الإسراء: الآية ٣٢.

[٧٣] انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٥٣/١٠.

[٧٤] الباءة: النكاح والجماع

[٧٥] وجاء: إضعاف للشهوة. والحديث رواه مسلم برقم ١٣٠٠ في كتاب النكاح.

[٧٦] رواه ابن ماجة برقم ١٩٦٧ كتاب النكاح، باب: الأكفاء.

www.mtenback.com

ومن صور خيانة أمانة الجسد ما عرف مؤخرًا بتأجير الأرحام وصورته أن يتفق الزوجان على استئجار رحم امرأة أخرى لتحضن نطفة الزوج وبويضة المرأة وتتولى هذه المرأة الأجنبية – الحمل والوضع ثم تسلم الطفل بعد ولادته لأبويه لقاء أجر معلوم.

ومن معاني الأمانة الجسدية التداوي وتناول العلاج، وفي الحديث: «ما أنزل الله داءً إلا أنزل له دواء»[٧٧]. وقد أمر النبي ﷺ بالعلاج وعالج نفسه.

أما القول إن كثيرًا من الأمراض مستعصية وليس لها دواء فلا يعني مناقضة الحديث الشريف، بل يفسر ذلك بعدم اكتشاف العلم حتى تاريخه دواء لذلك المرض، وقد يأتي يوم يكتشف فيه الدواء المضاد، وكم من الأمراض التي كانت مستعصية في يومٍ ما، وكان الموت نتيجة حتمية لمن يصاب بها كالسل والكوليرا وغيرها، أصبحت الآن قابلة للشفاء باكتشاف ضدها من الدواء.

ومن صور المسؤولية عن الجسد العناية بالنظافة العامة: نظافة البدن والثوب والمكان. بل إن النظافة جعلت شرطًا من شروط بعض العبادات، كالسواك والوضوء والغسل.

أما الرياضة الجسدية فلها دورها في حفظ الجسد وقوته ووقايته من كثير من الأمراض. وما قيمة الجسد إذا لم تنهض أعضاؤه بواجباتها، وتؤدي وظائفها بصورة صحيحة.

والراحة والسكون ضرورة تقتضيها الكائنات الحية، لتستعيد نشاطها وحيويتها وحتى الآلات المتحركة، فلابد لها من ذلك فإذا لم تتوقف بين الحين والآخر تتلف.

وعلى هذا الأساس لابد من راحة الجسم وعدم تحميله ما لا يطيق من العمل والعبادة وغيرها، رحمة بالجسد لئلا يتعب ويفقد حيويته.

---

[٧٧] رواه ابن ماجة برقم (٢٢٠٤) كتاب السلام – باب لكل داء دواء واستحباب التداوي.

www.mtenback.com

والنوم من أحسن أنواع الراحة وأنفعها للجسد ففيه تسكن الأعضاء وتهدأ النفوس لتستعيد نشاطها، وسمى المولى عزّ وجلّ الليل الذي ينام فيه الإنسان سكنًا لهذا المعنى، فقال تعالى: ﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ (٧٨).

أمانة الجسد والذرية:

الأسرة هي الخلية التي يتكوّن منها أفراد المجتمع وهذا يعني أن مسؤولية الأسرة عن الجسد البشري بالغة الأهمية، ففيها يولد الإنسان، وفي محيطها يشب ويترعرع ويكسب الخبرات، ومن ثم يمارس دوره في المجتمع.

وأول مطالب هذه المسؤولية حسن اختيار الزوجين لأنهما أساس الأسرة، واللبنة الأولى في بنائها، منها تبدأ المسؤولية عن الأسرة وعندها تنتهي. وذلك لأنهما المسؤولان عما يحدث في دائرة الأسرة بما فيها المسؤولية الجسدية. وسلامة الزوجين الصحية تثمر بإذن الله أبناء يتمتعون بأجسام صحيحة وبنية قوية ستؤدي إلى نحو قريب من الكمال في بناء الأجساد وصيانتها.

وفي الحديث: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(٧٩).

كما دعا أولياء الفتاة إلى اختيار الفتى الصالح: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلاّ تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»(٨٠).

---

(٧٨) سورة الأنعام: الآية ٩٦.

(٧٩) رواه البخاري: رقم (٥٠٩٠) كتاب النكاح، باب: الأكفاء في الدين.

(٨٠) رواه ابن ماجة: رقم (١٩٦٧) كتاب النكاح، باب الأكفاء.

www.mtenback.com

فالزوجة الصالحة تلك التي تؤدي واجبها على أكمل وجه نحو الجنين وهو في بطنها، ثم وهو رضيع في حجرها، ثم وهو يافع في حضانتها.

وكذلك الزوج، فهو المنفق على الأسرة، الموجه للولد خاصة وللأسرة عامة المسؤول عنها أولاً وأخيرًا.

وبعد حسن الاختيار السابق ذكره، يحسن القيام بالكشف الطبّي للزوجين قبل الزواج حيطة للنسل.

فكثيرًا ما يموت الأطفال بعد ولادتهم، دون معرفة السبب وآخرون يولدون مشوهين، فمنهم من يموت، ومنهم من يعيش مشوهًا وقد كان يظن سابقًا أن ذلك أمر طبيعي، ثم تبين أن تقصير الزوجين في عدم الكشف الطبي قبل زواجهما قد يكون له أثر بالغ في ذلك.

وهذا الكشف يشمل القلب والكلى والصدر والأجهزة التناسلية وفحوصات الدم.

ولما كانت عادة الزواج من الأقارب، ولا سيما في البلاد العربية عادة مطردة كان انتقال الأمراض الوراثية أمرًا متوقعًا. ومن هذه الأمراض (مرض سيولة الدم، والتخلف العقلي، والتشوهات الخلقية في الأطراف ومرض عمى الألوان) وأهم هذه الكشوفات معرفة فصيلة الدم. والكشف الطبي يتمشى مع روح الإسلام، لأنه يحرص على إنجاب الذرية السليمة القوية.

لذا حسُن الأخذ به قبل الزواج، لأنه من باب الاحتياط والحكمة قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[٨١]، وقال ﷺ: «الحكمة ضالة المؤمن»[٨٢] وهو من باب التدابير الوقائية، وفي الحديث: «لا ضرر ولا ضرار»[٨٣].

---

[٨١] سورة البقرة: الآية ١٩٥.

[٨٢] سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة، رقم الحديث: ٢٦١١.

[٨٣] مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣١٣/١.

www.mtenback.com

وكل ذلك يؤدي إلى استمرار الحياة الزوجية، أما إهمال هذه الحقائق والتسليم الخاطئ للقضاء والقدر، قد يجني على الأطفال، فيأتون مشوهين أحيانًا، لا ذنب لهم، إنما هو تقصير والديهم بعدم الكشف الطبي قبل الزواج.

وهذه الأمور يمكن معالجتها في بادئ الأمر بيسر وسهولة، فإذا لم يكن ثمة توافق بين الجسدين فالأولى عدم الزواج تحاشيًا من حدوث التشوهات في الأولاد، أما بعد الزواج فيكون العلاج صعبًا إذا لم يكن مستحيلاً.

بعد التوكيد على أهمية اختيار الزوجين وأهمية الكشف الطبي لابد من حماية الجنين البشري وذلك من خلال أمور عدة:

أول هذه الأمور غذاء الجنين، ولما كان الجنين يتغذى من غذاء أمّه كان طعام المرأة الحامل ضرورة لحفظ جنينها. وتوكيدًا لهذا فقد أوجب الإسلام نفقة الزوجة على زوجها طوال فترة حملها سواء أكانت الزوجية قائمة بينهما أو لم تكن قائمة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾[٨٤] قال القرطبي: «لا خلاف بين العلماء في وجوب النفقة والسكن للحامل المطلقة ثلاثًا أو أقل منهن حتى ترضع»[٨٥] لأن الخطاب موجه للأزواج كما هو واضح.

كما أن مسؤولية الأم عن جنينها أن تراعي تناول الغذاء المناسب له وأن تبتعد عن المخدرات والتدخين والعقاقير الضارة به.

كما أن للجنين البشري حرمته في جميع أطواره، لذلك وضع الإسلام عقوبات على من يجني عليه، سواء أكان الجاني أجنبيًا أم أمه التي تحمله وسواء أكان ذلك بضرب أم تخويف، أو أية وسيلة أخرى.

---

[٨٤] سورة الطلاق: الآية ٦.

[٨٥] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ، م٩، ص١١١.

www.mtenback.com

قال ابن رشد[٨٦]: «فأما الأجنة، فإنهم اتفقوا على أن الواجب في جنين الحرة وجنين الأمة من سيدها هو غرّة[٨٧]، لما ثبت عنه ﷺ من حديث أبي هريرة وغيره أن امرأتين من هذيل، رمت إحداهما الأخرى فطرحت جنينها فقضى فيه رسول الله ﷺ بغرّة عبد أو وليدة»[٨٨].

أما عند غير المسلمين فالأمر ليس كذلك، فبعد أن تمكن العلم الحديث من معرفة الجنين داخل الرحم معرفة دقيقة، من حيث النمو والصحة واكتشافات التشوهات الخلقية (إن وجدت) عمدت كثير من الدول الغربية إلى عملية التخلص من الجنين المشوّه، مهما كان عمره، ما دام داخل الرحم.

كما أن العلاقات الجنسية غير المشروعة دعت إلى القضاء على أرواح الألوف من الأجنة بالإسقاط (الإجهاض) وذلك عندما تتفلّت الأمور من الفتاة، ويحصل لها حمل، ويكون ذلك الإجهاض بواسطة حبوب خاصة تتناولها الفتاة، وإذا تعسر الأمر فتلجأ إلى الطبيب لتجد عنده المعونة، مما جعل قتل الولد في الرحم أهون على القوم من خلع الضرس في الفم سواء قبل نفخ الروح أو بعده، ولربما سمح القضاء بذلك لأتفه الأسباب.

كما أباح الإسلام للحامل الإفطار في رمضان حرصًا على جنينها فإن خافت عليه وجب عليها ذلك الإفطار[٨٩].

---

[٨٦] انظر: ابن رشد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي: بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة بيروت – ط٧، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ٢/٤١٥.

[٨٧] الغرّة عند العرب أنفس شيء وأطلقت هنا على الإنسان لأن الله تعالى خلقه في أحسن تقويم.

[٨٨] رواه مسلم رقم (١٦٨١) في كتاب القسامة، باب: دية الجنين، صحيح مسلم بشرح النووي ١١/١٨٧.

[٨٩] انظر الشربيني، محمد الخطيب: مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، (١٣٧٧هـ/١٩٥٨م) ١/٤٤٠.

www.mtenback.com

وما ذلك إلاّ لأن الصوم يضعفها ويتعبها، وبذلك يتأثر جنينها، سيما أن جسدها في هذا الظرف يكون أضعف منه في غيره.

أما في مرحلة الطفولة فمسؤولية الأسرة نحو طفلها أمانة في أعناق الآباء والأمهات تجب مراعاتها.

وتبدأ هذه المسؤولية بحق الطفل في الرضاع، فله أن يرضع حولين كاملين. كما أن الرضاعة الطبيعية هي أفضل وقاية من أمراض التلوث، ذلك لأن لبن الأم تنعدم فيه احتمالات التلوث تمامًا.

ومن عظيم حكمة الله تعالى أن فطر الأمهات على السعادة بإرضاع أولادهن والغبطة به، وكل ذلك يحقق للطفل الصحة الجسدية والعقلية، بل والنفسية.

وإذا تعذر حصول الوليد على لبن الأم، لموت أو لمرض أو لفرقة بينها وبين الزوج، أو سبب من الأسباب المانعة للرضاعة فلا بد من توفير مرضعة، ولكن تبقى مسؤولية الوالدين أو أحدهما في حسن اختيار المرضعة، لأن لبن الأم يؤثر في جسم الطفل وفي أخلاقه وسجاياه، ولذلك يحتاط في انتقاء المراضع ، ويجتنب استرضاع المريضة، والفاسدة الأخلاق والآداب.

ومن مسؤوليات الأسرة في مرحلة الطفولة: الحضانة، فقد قرر علماء التربية أن الطفل بأمس الحاجة إلى أمه في الشهور الأولى من ولادته، ذلك خلافًا لما كان سائدًا في أوهام الناس، أن الطفل لا يتأثر بما يحيط به، ولا ينفعل بما يجري حوله في هذه الفترة.

فقد تبين أن الطفل يكون شديد الإحساس بما يحدث حوله وأنه يتأثر بما يحيط به من الحنو والقسوة تأثرًا عميقًا، يصاحبه بقية حياته وعمره، ويشمل نواحيه الصحية والنفسية، فصحة الأعصاب وهي عماد أجهزة الجسم تعاني الاضطراب والاختلال

www.mtenback.com

بسبب المؤثرات الخشنة التي تصيب الطفل في صغره، وشراسة الخلق والقسوة والحقد على المجتمع تنغرس في نفوس الأبناء الذين حرموا الأمومة.

ولما كان مفهوم الحضانة يعني الولاية على الطفل لتربيته وتدبير شؤونه، فقد جعلها الإسلام من حق الوالدين، والأم أولى من الأب وغيره، حال التفريق بين الزوجين، لوفور شفقتها فإذا رغبت فيها - الحضانة - فلا بد من توفر شروط فيها وهي: «العقل، والحرية، والدين والعفة، والأمانة، والخلو من زوج، والإقامة»[٩٠]، وما ذلك إلا حرصًا على سلامة الطفل، وتأمين حياة كريمة له.

كما أن دفع الطفل إلى الخادمات في البيوت كما في بعض المجتمعات يفقده، الكثير من مكونات الطفولة، وربما أكسبه بعض الخلال الذميمة والعادات السيئة، سيما إذا كانت الخادمة أو الحاضنة غير مسلمة.

وفي سن الطفولة تقع مسؤولية النفقة على الوالد لعجز الطفل وضعفه، ولوفرة شفقة أبيه عليه قال تعالى: ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٩١].

كما أن الإسلام رغب في النفقة والتوسعة على العيال وجعل ذلك من أقرب القربات إلى الله تعالى ففي الحديث: «دينار أنفقته في سبيل الله، ودينار أنفقته في رقبة[٩٢] ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقته على أهلك»[٩٣].

وأهم ما يحتاجه الطفل في مرحلة الطفولة التربية الصحية والخلقية. فإذا اعتاد الطفل عادات غير صحية لازمته طوال حياته غالبًا ومثلها الجوانب الخلقية الأخرى التي

---

[٩٠] انظر الحسيني، أبو بكر محمد الحسيني: كفاية الأخيار، دار الإيمان، بيروت، د.ت ٢/ ١٤١.

[٩١] سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

[٩٢] أي: إعتاق عبد أو أمة.

[٩٣] رواه مسلم، انظر صحيح مسلم بشرح النووي ٨٢/٧.

www.mtenback.com

يتلقاها الطفل من أسرته في صغره لذا فإن ثمة قواعد يجب تربية الأطفال وفقها لحفظ صحتهم منها:

الاحتماء من التخمة، التي غالبًا ما يقع فيها الأطفال لعدم سيطرتهم على نفوسهم، ولضعف إرادتهم، وهي سبب كثير من الأمراض، جاء في الحديث: «ما ملأ آدمي وعاء شرًا من بطن»[٩٤].

ومنها التعويد على الرياضة النافعة.

وتعويدهم على التقشف فقد يلجأ بعض الأغنياء والمترفين إلى المبالغة في ترفيه أبنائهم وغمرهم بالنعمة من كل مكان، حرصًا منهم على محبتهم، ظانين أن ذلك من الرفق بهم، والحقيقة أنه عين المهلكة، تهلك أجسامهم، وتفقدهم القدرة على التحمل والقوة، فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين»[٩٥].

ومنها تعويدهم على النظافة في الجسم والملبس والمكان.

وتنشئة الأطفال على مكارم الأخلاق والقيم العليا.

أما الأسلوب والوسائل التي يجب على الوالدين اتباعها بغية تحقيق ذلك فهي كثيرة منها:

التعليم بالقدوة: فيجب أن تكون أقوال الوالدين وأفعالهما مثلاً أعلى للأطفال لأنهم، يحاولون تقليدهما في كل ما يقولون ويفعلون، لذلك فإن اتباع الوالدين قواعد السلوك الأخلاقي والسلوك الصحي خير لهما ولذريتهما بل هو من أنجح الوسائل في التربية السليمة.

---

[٩٤] رواه ابن ماجة رقم (٣٣٤٩) كتاب الأطعمة.

[٩٥] انظر: العجلوني، إسماعيل بن محمد: كشف الخفاء، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، (د.ت)، ٣٧٨/١.

www.mtenback.com

وكذلك التعليم بالمناسبة: وهو أن ينتهز الوالدان المناسبات التي تسنح لهما لتعليم الأطفال وتربيتهم تربية صحية وأخلاقية – كأن يحصل حادث ما – فيلفت انتباه الأولاد إليها لتجافيها، والثناء على الطفل إن سلك سلوكًا حميدًا ومكافأته عليه.

والتعليم بالممارسة: كأن يوجه الطفل من صغره إلى التدريب على الوضوء، وتعلُّم كيفية الاستنجاء بصورة صحيحة وغسل اليدين بعده، والغسل قبل الطعام وبعده[٩٦].

ولما كان المنزل هو الحاضن الذي يحضن أفراد الأسرة كان من مسؤولية الوالدين أن يحافظا على سلامته وصلاحيته للأبناء وبصورة تحقق لهم حياة صحية كريمة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية كان لزامًا عليهما أن يجنبا المنزل الأخطار التي قد يذهب ضحيتها الأبناء أو تشوه أجسادهم.

أمانة المسؤولية العامة وحدودها:

إن مسؤولية الفرد عن جسده ومسؤولية الأسرة عن أجساد أبنائها، كلتاهما تندرجان تحت المسؤولية العامة التي تقع على عاتق المجتمع والمقصود به أولو الحل والعقد أو الدولة في المصطلح الحديث.

فهي المسؤولة عن أعضاء المجتمع المشرفة على مسؤوليات الأسر والأفراد فيه، مسؤولة عن تأمين حياة عزيزة كريمة لأبناء المجتمع متوافقة مع هدي الإسلام كما جاء في الحديث «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته: فالإمام راعٍ ومسؤول عن رعيته»[٩٧].

---

[٩٦] محمود الطنطاوي: التربية وأثرها في رفع المستوى الطبي، دار البحوث العلمية، الكويت ط١، (١٩٧٥م)، ص٤٩.

[٩٧] رواه البخاري رقم (٨٩٣) كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن.

www.mtenback.com

وإن كان الإمام هو المعني بهذه المسؤولية إلا أنه تتفرع منها مسؤوليات أصغر، تشمل سائر تنظيمات المجتمع مثل المؤسسات والإدارات وغيرها.

ومن أدنى وجوه هذه المسؤولية عن الأفراد، تأمين الغذاء والدواء والسكن الصحي والتعليم وخلاف ذلك من ضرورات الحياة.

وإذا ما تخلفت هذه المسؤولية العامة عن حدودها كان البؤس والشقاء والمرض والضياع.

وتأتي في مقدمة هذه المسؤولية التربية بمعناها العام والتي تعني كل المؤثرات المختلفة التي توجه حياة الأفراد وتسيطر عليها، والتي يتحرك فيها الفرد في المنزل والمدرسة والمجتمع.

ولتحقيق هذه المعاني لابد من تضافر قوى الأسرة والمدرسة ووسائل الإعلام ليعيش الطفل حياة مناسبة سعيدة.

ومن واجب المجتمع مراعاة الأجساد الضعيفة، وعدم إلزامها بما لا تطيق ونقصد بذلك الشيوخ والنساء، فالشيخوخة أمانة في عنق المجتمع يحافظ عليها من عرف قدرها وفضلها، ويضرب بها عرض الحائط من نظر إليها على أنها جانب ضعف وعجز، وأن هؤلاء الشيوخ عالة على المجتمع، غير قادرين على العطاء والإنتاج ولا بأس بالتخلص منهم. قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾[٩٨].

وفي الحديث: «من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا فليس منا»[٩٩].

---

[٩٨] سورة الإسراء: الآية ٢٣.

[٩٩] رواه أبو داود رقم (٤٩٤٣) كتاب الأدب، باب: في الرحمة.

www.mtenback.com

أما المرأة فإن تكوينها الجسدي يختلف، فهو أضعف منه عن الرجل من جهة، ومن جهة أخرى فهي المنبت للنوع البشري، والتربة الصالحة للإخصاب، فهي الحاملة لمعظم أعباء تلك الخدمات من فترات تمهيدية كالحيض، إلى تلاقي النطفتين في الرحم إلى تكوين العلقة بالمضغة المخلقة وغير المخلقة إلى الولادة، ثم الإرضاع ثم الحضانة.

لذا كان من مسؤولية المجتمع أن يحفظ على المرأة فطرتها، فضلاً عن كرامتها وعزتها ويشفق على الطفولة التي هي رهن بذلك، وأن يعدّها لتحقيق هذا الغرض.

ولقد صدق رسول الله ﷺ عندما قال: «استوصوا بالنساء خيراً فإنهن عندكم عوان»[١٠٠].

ومن أمانة المسؤولية الاجتماعية الرقابة ونعني بها الحراسة والحفظ والمحاسبة. وهذه أمانة واسعة في المجتمع نقتصر على بعضها فيما يتعلق بحفظ الأجساد ورعايتها.

فمن ذلك أمانة المسؤولية عن حمل السلاح. وتكمن خطورة ذلك عندما تأذن الدولة في إجازة حمله لأناس ليسوا مؤهلين لحمله من حيث عدم التوازن الفكري والنضوج العقلي، وعدم دقة الاستخدام أو لفساد الخلق فترى السلاح الناري الخطير في أيدي أهل الطيش والاستهتار، وهذا بلا شك خطر عظيم على الأجساد والأرواح حيث إن السلاح كان تصميمه ابتداء من أجل إفناء الجسد والقضاء عليه، وإن اختلفت الدواعي والأسباب.

ومن الأمور الأساسية لحماية الجسد البشري، رقابة الأطعمة والأشربة؛ لأن أغلب الأمراض في الجسد نتيجة الأغذية والأشربة الداخلة في الجوف.

---

[١٠٠] رواه ابن ماجة، رقم (١٨٥١) كتاب النكاح، باب: حق المرأة على الزوج، عوان: جمع عانية أي: أسيرة.

www.mtenback.com

فإذا خانت الجهات المسؤولة عن مراقبة الأطعمة أمانتها مع كثرة الأغذية المعروضة في مجتمعاتنا الحالية سواء ما كان مصنّعًا داخل البلاد أو مستوردًا من خارجها فسدت الأجساد وضيعت الأرواح.

وتكون المسؤولية بالكشف الطبي للتأكد من صلاحية المخزون، من الأغذية ولعل من الأمور المستحسنة في هذا المجال أن غالب الأغذية المعلبة - على اختلاف محتوياتها - يدون عليها تاريخ الصنع وتاريخ انتهاء صلاحيتها للاستهلاك مما يسهل عملية المراجعة والمحاسبة.

وخلاصة القول إن عظم هذه المسؤولية، تتناسب طردًا وأهمية الغذاء للجسد فبالمحافظة عليه حفاظ على الجسد والتفريط به إتلاف له.

ومما يتصل بالأمانة الاجتماعية، المسؤولية عن حوادث المرور التي أصبحت في الآونة الأخيرة من أكثر ما يتعرض له الجسد البشري من إصابات، فهي الموت حينًا، والتشويه وتعطيل الأعضاء حينًا آخر.

وإن كان المتبادر إلى الذهن أنها مسؤولية السائق فقط، بسبب الطيش والاستهتار، أو عدم الكفاءة والأهلية، أو لمخالفة قواعد المرور، فهذا صحيح، غير أن المسؤولية تقع على المجتمع أيضًا. فكثير من الحوادث يكون سببها عدم وجود إشارات ضوئية في الأماكن المزدحمة، أو عدم نصب جسور عند التقاطع، سيما مع سكة القطار، أو عدم تجهيز الطرق بصورة حسنة، أو عدم وجود شاخصة منبهة عند بعض التحويلات، أو عدم اتخاذ تدابير كافية لحماية أطفال المدارس.

ومن هذه المسؤولية تساهل المجتمع مع غير المؤهلين لقيادة المركبات بمنحهم إجازات قيادة، فكل ذلك تساهل على حساب الجسد البشري، عند ما يتعرض للخطر والفناء.

وهكذا يتبين لنا مدى سعة مسؤولية المجتمع عن الجسد البشري، بل إن كل المسؤوليات تندرج تحتها، المسؤولية الفردية، ومسؤولية الأسرة.

www.mtenback.com

وهناك المسؤولية الاقتصادية وذلك برفع مستوى الأسرة المعاشي، والتربوية بالإعلام الصحيح والتوجيه المدرسي، والخلقية بدرء الأخطار الخلقية ومراقبة المنحرفين، كما أن منها احترام الشيخوخة وضعف المرأة.

ومن الأمانة المسؤولية الصحية التي تشمل المسؤولية الفنية والمسؤولية عن سلامة البيئة من الملوثات.

الأمانة في العلم:

العلم هو القوة التي ألقاها الله في الكون وسخّر بها الكون وخلقها ليحوزها الإنسان بعد أن سوّاه بحواسه لتنفذ فيها هذه القوة إلى عقله فيتصرف بها وبمرانه يصرفها وعلى مقادير المواهب الخلقية والرياضة العملية تكون سعة الحوز وسلطة التصرف بهذه القوة، حتى أصبح الإنسان بها أعزّ من في الكون على ما في الكون.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾[١٠١]. فكان هذا الكون الأرضي مخلوقًا لابن آدم يطيعه، ويطوّعه ابن آدم ويسيّره بهذه القوة التي منّ الله بها عليه إذ خلقهُ لينالها كما خلقها لتنفعه وترفعه. قال جل من قائل: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٠٢].

ثم غاير الحق تعالى بين الإنسان المستفيد والإنسان البليد، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [١٠٣].

وفي حصره التذكر في أولي الألباب إشارة صريحة إلى قشور العلم وإلى الذين يعلقون بهذه القشور أنها لا تغني عن الألباب.

---

[١٠١] سورة البقرة: الآية ٢٩

[١٠٢] سورة النحل: الآية ٧٨

[١٠٣] سورة الزمر: الآية ٩.

www.mtenback.com

العلم الذي صهر الحديد وقطع الصخر وثقب الألماس وطار بالإنسان في جو السماء وغاص به تحت طبقات الماء، ونقل أصواته بل نقله هو وثقله إلى بلد لم يكن ببالغه إلا بشق الأنفس.

العلم الذي حفظ الروح والجسد وعمل على إبقائهما، وبيّن السبيل لسعادتهما، هو صاحب تلك العزة التي لها أمثال وظواهر ووقائع وأسانيد ومشاهد.

قال ﷺ: «بلغوا عني ولو آية»[١٠٤]، قال ابن القيم: لو لم يكن في تبليغ العلم عنه إلا حصول ما يحبه ﷺ لكفى به فضلاً، ومعلوم أنه لا شيء أحب إليه من إيصال الهدى إلى جميع الأمة فالمبلغ عنه نائبه وخليفته في أمته وكفى بهذا فضلاً وشرفًا للعلم وأهله[١٠٥].

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: «يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم وإن كنتم وسطًا سدتم، وإن كنتم سوقة عشتم»[١٠٦].

وقال بعض البلغاء: تعلّم العلم، فإنّه يقوّمك ويسددك صغيرًا، ويقدمك ويسوّدك كبيرًا، ويصلح زيفك وفاسدك ويرغم عدوك وحاسدك، ويقوم عوجك وميلك ويصحح همّتك وأملك، قال علي رضي الله عنه: قيمة كل امرئ ما يحسن فأخذه الخليل بن أحمد فنظمه شعرًا فقال[١٠٧]:

لا يَكُونُ العَلِيُّ مِثْلَ الدَّنِيِّ ... لا ولا ذُو الذَّكَاءِ مِثْلُ الغَبِيّ

قيمةُ المَرْءِ قَدْرُ مَا يُحْسِنُ المَرْ ... ءُ قَضَاءً من الإمامِ عليّ

---

[١٠٤] صحيح البخاري، رقم الحديث: ٣٢٠٢، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل.

[١٠٥] ابن القيم: مفتاح السعادة، ج ١، ص ٧١.

[١٠٦] الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ص ٤١.

[١٠٧] المصدر السابق، ص٤٢.

www.mtenback.com

والعلم والعقل سعادة وإقبال وإن قل معهما المال، وضاقت معهما الحال. والجهل والحمق حرمان وإدبار، وإن كثر معهما المال واتسعت معهما الحال، لأن السعادة ليست بكثرة المال فكم من مكثر شقي ومقلّ سعيد، ويكون الجاهل الغني سعيدًا والجهل يضعه، وقد يكون العالم الفقير شقيًا والعلم يرفعه؟ وقال بعض الأدباء: من لم يفد بالعلم مالاً، كسب به جمالاً.

يقول ابن طباطبا[١٠٨]:

حَسُودٌ مَرِيْضُ القَلْبِ يُخْفِي أَنِيْنَهُ ... وَيُضْحِي كَئِيْبَ البَالِ عِنْدِي حَزِيْنَهُ

يَلُوْمُ عَلَى أَنْ رُحْتُ لِلعِلْمِ طَالِبًا ... أُجَمِّعُ مِنْ عِنْدِ الرّواةِ فُنُونَهُ

فَأَعْرِفُ أَبْكَارَ الكَلامِ وعُونَهُ ... وأَحْفَظُ مِمّا أَسْتَفِيْدُ عُيُونَهُ

وَيَزْعُمُ أَنَّ العِلْمَ لاَ يُكْسِبُ الغِنَى ... وَيُحْسِنُ بِالجَهْلِ الذَّمِيْمِ ظُنُونَهُ

فيا لائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيْمَتِي ... فَقِيْمَةُ كلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَهُ

ولما كان العلم بهذه العزة والمكانة، وجب تحصينه بالخلق النبيل ووجب على المشتغلين به أن يكون خلقهم الصدق والأمانة، لأن كذبهم وعدم أمانتهم لا يعود الضر فيهما عليه وحده بل يضر أجيالاً حوله وبعده.

وأمانة العلم تقتضي من العلماء أن يتحلوا بتعليم ما يحسنون ولا يمتنعوا عن إفادة ما يعلمون، فإن البخل به لؤم وظلم، والمنع منه حسد وإثم. ولا يجوز لهم الشح بما إن بذلوه زاد ونما، وإن كتموه تناقص ووهى. ولو استنّ بذلك من تقدمهم لما وصل العلم

---

[١٠٨] أبو القاسم أحمد بن إبراهيم بن طباطبا بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان أديبًا شاعرًا توفي بمصر سنة ٣٤٥هـ.

الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٥٣.

www.mtenback.com

إليهم ولانقرض عنهم بانقراضهم، ولصاروا على مرور الأيام جهالاً، وبتقلب الأحوال وتناقصها أرذالاً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[١٠٩].

قال ابن كثير: «هذا توبيخ من الله وتهذيب لأهل الكتاب الذين أخذ الله عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ وأن يتوجهوا بذكره في الناس فيكونوا على بينة من أمره من أمره فإذا أرسله الله تابعوه، فكتموا ذلك وتعوضوا عمّا وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف والحظ الدنيوي السخيف فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويسلك بهم مسلكهم فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدّال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئًا»[١١٠].

وفي الحديث: «من كتم علمًا ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار»[١١١].

فكتم العلم من آفاته، أما بذله ففيه زيادة العلم، وإتقان الحفظ فقد قال الخليل بن أحمد: اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيهًا على ما ليس عندك[١١٢]. وقال ابن المعتز في منثور الحكم: النار لا ينقصها ما أخذ منها، ولكن يخمدها ألا تجد حطبًا، كذلك العلم لا يفنيه الاقتباس، ولكن فقد الحاملين له سبب

---

[١٠٩] سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

[١١٠] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ج ١، ص ٤٣٦.

[١١١] الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح الترغيب والترهيب، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٢، (١٩٨٦م)، ج ١، ص ٥٢.

[١١٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ٨٨.

www.mtenback.com

عدمه فإياك والبخل بما تعلم. وقال بعض العلماء: علّم علمك، وتعلّم علم غيرك، فإذا أنت قد علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت[١١٣].

والعلماء الذين يتوصلون إلى مفاتيح القوى الكامنة في الكون ويستطيعون استخدامها في التعمير أو التدمير مستأمنون عليها من قبل خالقها ومالكها، ومستأمنون على خلق الله الذي مكنهم من استخدام هذه القوى لإهلاكهم وتدمير مدنهم، كما مكنهم من استخدامها لخيرهم وأمنهم ورزقهم.

فإن استخدموها في الإهلاك والتدمير وإرادة العلو في الأرض فقد عصوا خالقها ومالكها الذي استأمنهم عليها ليبلوهم، وشهدوا على أنفسهم بما فعلوا أنهم خانوا أمانة الله عندهم.

ومن أخبار العلماء أن حنين بن إسحق الطبيب المشهور اتصل خبره بالخليفة فأمر بإحضاره، وكان الخليفة يسمع علمه ولا يأخذ بقوله دواءً حتى يشاور غيره، وأحبّ امتحانه ليزيل ما في نفسه عليه فاستدعاه وأمر بأن يخلع عليه وأخرج توقيعًا له فيه إقطاع يشتمل على خمسين ألف درهم: فشكر حنين هذا الفعل ثم قال له بعد أشياء جرت: أريد أن تصف لي دواء يقتل عدوًّا نريد قتله، وليس يمكن إشهار ذلك ونريده سرًّا، فقال حنين: ما تعلمت غير الأدوية النافعة، ولا علمت أن أمير المؤمنين يطلب مني غيرها، فإن أحبّ أن أمضي وأتعلم فعلت، فقال: هذا شيء يطول، ورغّبه وهدده وهو لا يزيد على ما قال، إلى أن أمر بحبسه في بعض القلاع، ووكل به من يرفع خبره إليه وقتًا بوقت، فَحُبس سنة، وكان في حبسه ينقل ويفسّر ويصنّف وهو غير مكترث بما هو فيه، فلما كان بعد سنة أمر الخليفة بإحضاره وإحضار أموال يرغّبه فيها وإحضار سيف ونطع وسائر آلات العقوبة، ولما حضر قال: هذا شيء قد طال ولا بدّ لي ما قلته

[١١٣] الماوردي: أدب الدين والدنيا، ص٨٨.

www.mtenback.com

لك، فإن فعلت فزت بهذا المال، وكان لك عندي أضعافه وإن امتنعت عاقبتك وقتلتك، فقال حنين قد قلت لأمير المؤمنين: إنني لا أحسن غير الشيء النافع ولا تعلمت غيره، قال الخليفة: فإني أقتلك، فقال حنين: إلى ربّ يأخذ بحقي غداً في الموقف الأعظم، فإن اختار أمير المؤمنين أن يظلم نفسه؟ فتبسم الخليفة وقال: يا حنين؛ طب نفساً وثق بنا. فهذا الفعل منّا كان لامتحانك، فأردنا الطمأنينة إليك والثقة بك لننتفع بعلمك، فشكره الطبيب، فقال الخليفة له: ما الذي منعك من الإجابة مع ما رأيته من صدق الأمر منّا في الحالين؟ قال حنين: شيئان يا أمير المؤمنين. قال: وما هما؟ قال: الدين والصناعة، قال: وكيف؟ قال: الدين يأمرنا باستعمال الخير والجميل مع أعدائنا، فكيف ظنك بالأصدقاء؟ والصناعة تمنعنا من الإضرار بأبناء الجنس؛ لأنها موضوعة لنفعهم ومقصورة على معالجتهم، ومع هذا فقد جعل في رقاب الأطباء عهد مؤكد بالأيمان مغلظة ألا يعطوا دواءً قتالاً، فلم أر أن أخالف هذين الأمرين الشريفين، ووطّنت نفسي على القتل، فإن الله تعالى ما كان يضيع لي بذل نفسي في طاعته، فقال الخليفة: إنهما شرعان جليلان، وأمر بالخلع فأفيضت عليه وحمل المال معه فخرج وهو أحسن الناس حالاً وجاهاً[١١٤].

وغاية العلم العمل وهذه نتيجة لازمة له، وإلاّ كان عبثًا من العبث، ولـيًّا للعلم عن قصده من الصلاح والإصلاح، بل خلعًا لربقة العلم من عنق العالم ألاّ يعمل بما يعلم، وخيانة ظاهرة للمجتمع يستحق عليها صاحبها المقت من الله ومن الناس، وخليق به أن يكون مطروداً من تلك الحظيرة الطاهرة.

فمن قال ما لايفعل، فقد مكر، ومن أمر بما لا يأتمر فقد خان وخدع، ومن أسرّ غير ما يظهر فقد نافق.

---

[١١٤] محمد سليمان: علماء الإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، (د.ت) ص٧٠-٧١.

www.mtenback.com

والأدلة على تلك القاعدة كثيرة نسوق منها:

قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١١٥].

قال ابن كثير - رحمه الله - قال ابن جريج: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ أهل الكتاب والمنافقون كانوا يأمرون الناس بالصوم والصلاة ويدعون العمل بما يأمرون به الناس فعيّرهم الله بذلك، فمن أمر بخير فليكن أشدّ الناس فيه مسارعة. وقال ابن كثير: والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه، وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له بل على تركهم له فإن الأمر بالمعروف معروف وهو واجب على العالم ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع من أمرهم به ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب عليه السلام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[١١٦].

فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب لا يسقط أحدهما بترك الآخر على أصح قولي العلماء من السلف والخلف [١١٧].

وفي حديث آخر: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»[١١٨].

---

[١١٥] سورة البقرة: الآية ٤٤.

[١١٦] سورة هود: الآية ٨٨.

[١١٧] تفسير ابن كثير ج١، ص ٨٥.

[١١٨] المرجع السابق.

www.mtenback.com

ومروي عنه ﷺ: «مثل الذي يعلّم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السّراج يضيء للناس ويحرق نفسه»[١١٩].

من أجل ما تقدّم كان العمل بالعلم أمرًا حتمًا على كل من علم حتى يخرج من دائرة الوعيد لمن علم و لم يعمل ثم تأتي الوصية لطالب العلم أن يُقْرِنَ عمله بعلمه. وقيل العلم والد والعمل مولود والعلم مع العمل والرواية مع الدراية.

وما من شيء أقبح من عالم ترك الناس علمه لفساد طريقته، وكيف يكون العلم مقبولاً منه وهو غير عامل به ولا قابل له، وفي هذا المعنى يقول أحمد بن يوسف[١٢٠]:

وَعَـامِلٍ بـالفُجُورِ يَـأْمُرُ بِالـبِرْ ... رِ كَهَـادٍ يَخَـوضُ فِـي الظُّلَـمِ

أَوْ كَطَبِيْـبٍ قَـدْ شَـفَّهُ سَـقَمٌ ... وهو يُـدَاوِي مِـنْ ذَلِـك السَّـقَمِ

يَـا وَاعِـظَ النَّـاسِ غَـيْرَ مُتَّعِـظٍ ... ثوبَـك طِهِّـرْ أوْلا فَـلا تَلُـمِ

ومن علامات الأمانة في العلماء تنزههم عن الشبهة.

فمن ذلك أن عافية بن يزيد القاضي كان يلي القضاء ببغداد للمهدي، فجاء في بعض الأيام وقت الظهر للمهدي وهو خالٍ، فاستأذن عليه، فلما دخل استأذنه فيمن يسلّم إليه القمطر الذي فيه قضايا مجلس الحكم، واستعفاه من القضاء، وطلب منه أن يقيله من ولايته. فظنّ المهدي أن بعض الأولياء قد عارضه في حكمه، فقال له في ذلك: إن كان عارضك أحد لننكرن عليه، فقال القاضي: لم يكن شيء، قال: فما سبب استعفائك من القضاء؟ قال: يا أمير المؤمنين؛ كان تقدّم إليّ خصمان منذ شهر في قضية مشكلة وكلٌّ يدعي بينة وشهودًا، ويدلي بحجج تحتاج إلى تأمل وتثبت. فرددت الخصوم رجاء أن يصطلحوا وأن يظهر الفصل بينهما فسمع أحدهما أني أحب

---

[١١٩] الألباني: صحيح الترغيب والترهيب، ص٥٣..

[١٢٠] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٨٦.

www.mtenback.com

الرّطب، فعمد في وقتنا هذا، وهو أول أوقات الرطب، فجمع رطبًا لا يتهيأ في وقتنا جمع مثله لأمير المؤمنين. وما رأيت أحسن منه، ورشا بوّابي بدراهم على أن يدخل الطبق عليّ ولا يبالي أن يردّ عليه، فلما أدخله عليّ أنكرت ذلك وطردت بوّابي وأمرت برد الطبق فردّ عليه، فلما كان اليوم تقدّم الخصمان إليّ فما تساويا في عيني ولا قلبي، فهذا يا أمير المؤمنين و لم أقبل فكيف يكون حالي لو قبلت؟ ولا آمن أن تقع عليّ حيلة في ديني فأهلك، وقد فسد الناس، فأقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله وأعفني عفا الله عنك. فأقاله[١٢١].

ومما يدلّ على أمانة العالم واستهانته بالدنيا قناعته باليسور من كدّ المطالب، فإن شبه المكتَسَب إثم، وكدّ الطالب ذلّ، والأجر أجدر به من الإثم، والعزّ أليق به من الذل.

ومن ذلك أن سليمان بن حبيب والي فارس والأهواز أرسل إلى الخليل بن أحمد يستدعي حضوره، وكان له راتب عليه، فكتب إليه الخليل:

أبلغْ سُلَيْمَانَ أنّي عَنْهُ في سَعَةٍ ... وَفِي غِنىً غَيْرَ أنّي لستُ ذا مَالِ

شُحًّا بنَفْسِي إنّي لاَ أَرَى أَحَدًا ... يَمُوْتُ هُزْلاً وَلاَ يَبْقَى عَلَى حَالِ

الرِّزْقُ عَنْ قَدَرٍ لا الضَّعْفُ يُنْقِصُهُ ... ولاَ يَزِيْدُكَ فِيْهِ حَوْلُ مُحْتَالِ

وَالفَقْرُ في النَّفْسِ لاَ فِي المَالِ تَعْرِفُهُ ... وَمِثْلُ ذَاكَ الغِنَى، في النَّفْسِ لا المَالِ

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل:

إنَّ الَّذِيْ شقَّ فَمِي ضَامِنٌ ... لِيَ الرِّزْقَ حَتَّى يَتَوفَّانِي

حَرَمْتَنِي مَالاً قَلِيْلاً فَمَا ... زَادَكَ فِي مَالِكَ حِرْمَانِي

---

[١٢١] محمد سليمان: علماء الإسلام، ص ٨١.

www.mtenback.com

فبلغت سليمان، فأقامته وأقعدته واعتذر إلى الخليل وأضعف راتبه.

قال الماوردي: وأنشدني بعض أهل الأدب لعلي بن عبدالعزيز القاضي رحمه الله[١٢٢]:

يَقُولُوْنَ لِي فِيكَ انْقِبَاضٌ، وإنَّمَا ... رَأَوْا رَجُلاً عَنْ مَوْقِفِ الذُّلِّ أَحْجَمَا

أَرَى النَّاسَ، مَنْ داناهُمُ هَانَ عِنْدَهُمْ ... وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عزّةُ النَّفْسِ، أُكْرِمَا

وَلَمْ أَقْضِ حَقَّ العِلْمِ إنْ كَانَ، كُلَّمَا ... بَدَا طَمَعٌ صَيَّرتُهُ لِيَ سُلَّمَا

وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاَحَ لي، يَسْتَفِزُّنِي ... وَلاَ كُلُّ مَنْ لاَقَيْتُ، أَرْضَاهُ مُنْعِمَا

إذَا قِيْلَ، هَذَا مَنْهَلٌ، قُلْتُ قَدْ أَرَى ... ولكنّ نَفْسَ الحُرِّ تَحْتَمِلُ الظَّمَا

أُنَهْنِهُهَا عَنْ بَعْضِ مَا لا يُشِينُهَا ... مَخَافَةَ أقوالِ العِدَا، فِيْمَ أَوْ لِمَا؟

وَلَم أَبْتَذِلْ فِي خِدْمَةِ العِلْمِ مُهْجَتِي ... لأَخْدِمَ مَنْ لاَقَيْتُ لكِنْ لأُخْدَمَا

أَأَشْقَى بِهِ غَرْسًا، وَأَجْنِيهِ ذِلَّةً؟ ... إذًا فاتّباعُ الجَهْلِ، قَدْ كَانَ أَحْزَمَا

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ العِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ ... وَلَوْ عَظَّمُوْهُ فِي النُّفوسِ لَعَظَّمَا

وَلَكِنْ أَهَانُوْهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوْا ... مُحَيَّاهُ بالأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

ومما يدخل في باب الأمانة، ما يُسمى الأمانة العلمية، وهي نسبة كل نظرية أو رأي أو فكر أو قول إلى مبدعه وقائله. ومن الخيانة سرقة أفكار الآخرين وادعاؤها.

وقد شاعت هذه الظاهرة كثيراً حيث يتعدى بعض الناس على جهود غيرهم العلمية، وينسبونها إلى أنفسهم، وقد يلجؤون إلى بعض الحيل لإخفاء فعلتهم كإجراء بعض التعديلات على المادة العلمية بالحذف أو الإضافة أو بهما معًا، أو تغيير الصياغة والأسلوب تمويهًا وخداعًا، حتى لا ينكشف أمرهم.

---

[١٢٢] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٩٢.

www.mtenback.com

وعلينا أن ندرك أن سرقة الأفكار أشدّ خطورة من سرقة الأشياء المادية كالذهب والمال؛ لأن السرقة الأولى تؤدي إلى فساد الحياة العلمية وإهدار جهود العلماء المخلصين. ومن ناحية أخرى يسهل الاستدلال على المسروق من الأشياء المادية أمّا معرفة ما سرق من الأفكار فقد يخفى في حالات كثيرة.

ومما يتصل بالأمانة العلمية ما يسمى بحقوق المؤلفين حيث يقدم بعض الخونة على سرقة المصنفات العلمية والفنية والأدبية واستنساخها من الأشرطة والأقراص والكتب وبيعها للناس بأبخس الأثمان، وبهذا يحرم المبدعون من ثمرة عطائهم، وقد يؤدي ذلك إلى فتور الحياة العلمية، وإحجام المفكرين والعلماء عن البذل والعطاء.

ومما ينافي خلق الأمانة في العلم ما يسلكه بعض التلاميذ من طرق الخيانة من أجل النجاح عند تأدية الاختبارات.

ومن طريف الأشعار هذه الأبيات التي يوجه فيها أحد الطلاب صديقه إلى اتباع سبيل الأمانة في تأدية الاختبارات ويعاتبه على ما سرق من معلومات[١٢٣]:

قُلْ لي بِرَبِّكَ هَلْ رَأَيْتَ صَدِيْقًا ... للسِّرِّ يَسْرِقُ أَوْ يَخُوْنُ صَدِيْقَا

إنَّ الصَّدَاقَةَ فِي الأَمَانَةِ إِنَّهَا ... أُسُّ الفَضَائِلِ فَاسْلَكَنَّ طَرِيْقَا

فارْضِ الصَّدِيْقَ وَكُنْ أَمِينًا عِنْدَهُ ... والسِّرُّ لا تَسْرِقْ تَكُنْ صِدِّيْقَا

وَلاَ تَفْتَحَنْ أَوْرَاقَ غَيْرِكَ مُطْلَقًا ... واحْفَظْ عُهُوْدِي لا تَكُنْ زِنْدِيْقَا

الأمانة في الولاية

تقع على الحاكم مسؤوليات جسام نحو أمته، فهو الذي يرعى حقوق الناس ويحافظ على دينهم وأمنهم وأموالهم وأعراضهم وعقولهم وثقافتهم وأرضهم وجميع ما يملكون.

---

(١٢٣) ديوان هاشم الرفاعي، جمعه وحققه: محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الأردن، ط٢، (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص١٠٤.

www.mtenback.com

وهذا الشاعر ابن حيوس يمدح الأمير أبا محمد الحسن بن الحسين بأمانته في حفظ تراث الأمة فيقول[١٢٤]:

وَجَدُوْكَ فِيْ مَنْعِ التُّرَاثِ وَحِفْظِهِ أَقْوَى الحُمَاةِ وأَوْثَقَ الأُمَنَاءِ

ومن معاني الأمانة في الولاية وضع كل شيء في المكان الجدير به واللائق له، فلا يسند منصب إلا لصاحبه الحقيق به، ولا تملأ وظيفة إلاّ بالرجل الذي ترفعه كفايته إليها.

وفي الحديث: «بينما كان النبي ﷺ يحدث القوم، جاءهُ أعرابي فقال: متى الساعة؟ قال ﷺ إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. قال: كيف إضاعتها؟ قال: إذا وسّد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»[١٢٥].

ويروى أن عليًا رضي الله عنه مرّ في المسجد فرأى واعظًا يعظ الناس، فقال له: أتعرف أحكام القرآن وناسخه ومنسوخه؟ قال: لا. فقال له عليّ: هلكت وأهلكت ثم منعه من التحدث للعامة[١٢٦].

وهذه هي أمانة الوالي أو رأس الدولة في إسناد الأمور إلى أهلها الذين يصلحون لها. فاختيار شاغلي المناصب والوظائف يجب أن يكون وفق معيارين هما: الكفاية العلمية والعملية، وصلاح الخلق وحسن السيرة.

أما أن يختار الحاكم عمالهُ بناء على ولائهم أو لقرابة أو منفعة دون النظر إلى مؤهلاتهم وخبراتهم وسلوكهم وأمانتهم فقد خان أمته وجانب الأمانة وفتح الباب لفساد عظيم في الأرض. وقد جاء هذا المعنى من قول الرسول ﷺ: «من ولي من أمر

---

[١٢٤] ابن حيوس، محمد بن سلطان بن محمد: ديوان ابن حيّوس، عني بنشره وتحقيقه خليل مردم بك، المطبعة الهاشمية، دمشق، (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ص١٤.

[١٢٥] رواه البخاري، في كتاب العلم ٢ وكتاب الرقاق ٣٥.

[١٢٦] السباعي، مصطفى: أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، (١٣٩٧هـ)، ص ١٥٦.

www.mtenback.com

المسلمين شيئًا فأمّر عليهم أحدًا محاباة فعليه لعنة الله ولا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً حتى يدخله جهنم»[١٢٧].

ذلك لأن تولية غير الكفء أو الخائن مأثم وشراكة له في الخيانة. يقول الشاعر[١٢٨]:

إِنَّ الأَمِيْرَ إِذَا اسْتَعَان بِخَائِنٍ كَانَ الأَمِيْرُ شَرِيْكَهُ في المَأْثَمِ

وجاء في المثل: «لا تأمن الأمير إذا غشك الوزير»[١٢٩].

وفي الحديث: «من استعمل رجلاً من عصابة وفيهم من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله والمؤمنين»[١٣٠].

فالأعمال إذا تسلمها الأغرار الجهال، ومقاليد الحكم إذا أصبحت بيد الأشرار والفجار فسلام على الدنيا وسلام على أهلها. ولقد أحسن من قال:

لا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لاَ سَرَاةَ لَهُمْ وَلاَ سَرَاةَ إذا جُهّالُهُمْ سَادُوْا

تَبْقَى الأُمُوْرُ بِأَهْلِ الرَّأْيِ مَا صَلَحَتْ فَإِنْ تَوَلَّتْ فَبِالأَشْرَارِ تَنْقَادُ

ومن معاني الأمانة في الولاية أن يرعى مصالح الأمة ويعمل على رسم الخطط لتحقيق الحق والخير والعدل ومحاربة الباطل والشر ومقاومتهما.

ومن واجبات الوالي اختيار القضاة الأمناء العادلين ممن عرفوا بالفهم وقوة الحجة والصبر على معرفة الحقيقة، وقوة الصدع بالحق عند إقرار الحكم وعدم اتباع الشهوات.

---

(١٢٧) رواه الحاكم.

(١٢٨) ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس، ٢/٥٧٦.

(١٢٩) الميداني: مجمع الأمثال ٢/٢٥٩.

(١٣٠) رواه الحاكم.

www.mtenback.com

جاء في نهج البلاغة «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور، ولا تمحكه الخصوم ولا يتمادى في الزّلة، ولا يحصر في الفيء إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع ويكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج، وأقلّهم تبرمًا بمراجعة الخصم، وأصبرهم على تكشّف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل. ثم أكثر تعاهد قضائه...»[١٣١].

فإن أحسن الحاكم في اختياره وراعى أمانة الله ووضع نصب عينيه صلاح شؤون الأمة استوجبت له طاعة الرعية وحق له التكريم بشرف الأمانة وفي هذا المعنى يقول الشاعر[١٣٢]:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ في هَذِي المُرُوْءَاتِ ... أَنْتَ الأَحَقُّ بِتَكْرِيْمٍ وَطَاعَاتِ

أَمَانَةٌ للعُلا أَصْبَحْتَ تَحْمِلُهَا ... وَأَنْتَ أَكْرَمُ مَنْ أَدَّى الأَمَانَاتِ

إِنَّ اهْتِمَامَكَ بالأَوْطَانِ تُسْعِدُهَا ... فَإِنَّمَا كُلُّ مِقْدَارٍ لِمِيْقَاتِ

وهذا بشار بن برد يمدح محمد بن أبي العباس بأمانته في اختيار القوي الأمين[١٣٣]:

رَشَدتَ أَمِيْرَ المُؤمِنِيْنَ وَإِنَّمَا ... ظَفِرْتَ وَوَلَّيْتَ الأَمِيْنَ المُسَدَّدا

وقد يكون الرجل حسن السيرة رضي الإيمان ولكنه لا يحمل من المؤهلات المنشودة ما يجعله منتجًا في وظيفة معينة فهذا أبو ذر رضي الله عنه الصحابي الجليل يقول: قلت يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: يا أبا

---

[١٣١] الإمام علي بن أبي طالب: نهج البلاغة، دار الفكر، بيروت، (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م)، ص٥٢٦.

[١٣٢] ديوان الكاشف: ص ٢٢٢.

[١٣٣] بشار بن برد، أبو معاذ بشار بن برد العقيليّ: ديوان بشار بن برد، دار الثقافة، بيروت، (١٩٦٣هـ)

www.mtenback.com

ذر إنك ضعيف، وإنها أمانة، وإنها يوم القيامة خزي وندامة، إلاّ من أخذها بحقها وأدّى الذي عليه فيها[١٣٤].

فمن الناس قوم أغرموا بالمناصب والرياسات يسلكون إليها كل سبيل ويلجون كل فج فلا يهدأ بالهم ولا يقر قرارهم إلا إذا ظفروا بما يؤملون، وما يدرون أن الولاية ثقيلة المحمل كثيرة التبعات تتطلب جهدًا وعناء وتقتضي يقظة وانتباهًا وتستدعي الوالي أن يسوّي بين الأفراد في توزيع العدالة والبر والقسط، وتيسير المطالب، والأخذ بالرفق، لا فرق بين كبير وصغير، ولا بين من ينتمي إلى فريق من الناس ومن ينتمي إلى فريق آخر، وكل ذلك يحتاج إلى مزيد حزم وفطنة. حتى إذا نال طلبته نسي تكاليف الولاية، واتخذ منها وسيلة لإشباع أطماعه، ونيل أمانيه، وإغداق الخير على أشياعه وأنصاره، وصب جام غضبه وانتقامه على خصومه وأعدائه، ينكل بهم ويسومهم الخسف، ويشاركهم في أقواتهم، وربما حال بينهم وبين الانتفاع بأموالهم. ويفتري عليهم الجرائم والآثام - وما تلوّثت أيديهم بجريمة - ولا يزال يحكم فيهم حيله ويحوك لهم الشباك حتى يشفي غلته. فهم لا يلبثون أن تولي عنهم الدنيا وتزول عنهم المناصب فينزلون إلى حضيض الذل والمهانة، وينصرف الناس عنهم، فلا يعودون يسمعون ألفاظ التملق وعبارات الرياء والنفاق، وينالهم من الازدراء والتحقير ما هم أهل له، لأنهم نسوا تلك العافية الممنوحة فلم يعملوا لها أيام ولايتهم.

ولذلك نهى الرسول ﷺ عبدالرحمن بن سمرة عن طلب الإمارة بقوله: «لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أعطيتها عن غير مسألة أعنت عليها»[١٣٥].

---

[١٣٤] رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب ١٣ النهي عن طلب الإمارة والحرص عليها، حديث رقم ١٦٥٣.

[١٣٥] رواه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، م ٧٦، حديث رقم ٢١٤٢.

www.mtenback.com

فهذا الحديث يشير إلى وجوب التباعد عن طلب الرياسات، ولو كان الطالب قادرًا على تحمل أعبائها؛ لأنها لا تخلو من عناء ومشقات، ويفيد أن من أسندت إليه ولاية عمل دون طلب منه فإنه جدير بعناية الله به، وإعانته عليها، ولا شك أن كل والٍ محتاج إلى معونة الله وإرشاده، فمن سلب الإعانة وتورط وارتبك في أموره واختلط عليه وجه الصواب، وأفلت من يده زمام الحق وجانبه السداد خسر دنياه وآخرته.

وهذا لا ينافي ما يجري اليوم في بعض البلاد التي تشترط أن يعلن المرء ترشيح نفسه وقبوله للمنصب واستعداده للقيام بمهام الولاية ما دام قادرًا على أداء العمل.

ولعلّ في قصة يوسف الصديق عليه السلام ما يؤيد هذا الرأي فقد رشح نفسه لإدارة شؤون البلاد المالية لما أدرك أنه قادر على حفظ المال وحسن تدبيره، وإصلاح الأوضاع الاقتصادية التي أصابها الفساد. قال تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[١٣٦].

فإنه لم يرشح نفسه للمنصب بنبوته وتقواه فحسب، بل بحفظه وعلمه أيضًا. وإنما يكون ترشيح الإنسان نفسه بما يجد لديه من مؤهلات تأتي في مقدمتها الأمانة. يقول الشريف الرضي في هذا المعنى[١٣٧]:

وإنّكَ ما اسْتَرْعَيْتَ مِنّي سوَى فَتىً ... ضَمُومٍ عَلَى رَعْيِ الأَمَانَةِ حانِ

حَفِيْظٍ إذا ما ضيّعَ المَرْءُ قَوْمُهُ ... وفيٍّ إذا ما خُوّنَ العَضُدَانِ

ومن معاني الأمانة في الولاية مراقبة الولاة لعمالهم ومحاسبتهم والتشديد عليهم فيما هم عليه، فلا ينامون عنهم ولا يتركونهم دون رقيب فإذا ظهر للحاكم أن

---

[١٣٦] سورة يوسف: الآية ٥٥

[١٣٧] الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين بن موسى الحسيني: ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، (د.ت)، ج٢،، ص٥٤٢. ص٣٥٩.

www.mtenback.com

الموظف يهمل في أداء واجبه أو يقدم مصلحته الشخصية على المصلحة العامة حاسبه وعاقبه وإن أدّى ذلك إلى عزله أو فصله عن العمل.

والأمانة تقتضي أن يوازن الوالي أوضاع موظفيه المالية قبل الوظيفة وبعدها فلا يتركهم يجمعون الثروات ويبتزون أموال الرعية، متخذين من سلطتهم أداة لذلك ويسلطون أذنابهم وأتباعهم يظلمون الناس في جباية الأموال منهم بغير حق وإرهاقهم ويتخذون منهم ومن بيوتهم وسطاء ومدخرات لجلب الإتاوات لهم، كما هو الشأن في بعض الحكام في بعض الأمم، ترى الواحد يتولى إمارة مقاطعة أو ولاية وهو رقيق الحال يكاد يكون من المعدمين الذين يحل إعطاؤهم من الزكاة، فلا يلبث عامًا أو عامين حتى يعود ممتلئ الحقيبة، مكتنز الجعبة، متضخمًا ثراء ومالاً وفيرًا فالوظيفة تدر عليه أخلاف النعم من هدايا يتقي بها شره أو يجتلب نفعه وبره، ورشاوى يشترى بها ظلمه وجوره ويدفع بها عن المفسدين بأسه وحزمه. فسرعان ما يدب الفساد في أمر ولايته ويتشبه به عماله فيعيثون عيث الذئاب في الغنم ويذوق الناس منهم كل سوء وأذى، وينظرون إليهم نظر الطائر إلى الصائد فزعين وجلين، وعلى أنفسهم وأموالهم خائفين مذعورين، ويتمنون الخلاص من حكمهم ولو بذلوا في سبيل ذلك ما بذلوا فتكثر الثورات وتعصى الأوامر، وتستأسد النفوس الشريرة، وتسري في القلوب روح الفوضى والاضطراب والتمرد، وما شأن حكم يكون ذلك أساسه؟ لا شك أنه سريع الانهيار قريب الزوال.

فمحاسبة الولاة والملوك لعمالهم ومؤاخذتهم على ما يرتكبون من المخالفات تجعلهم حريصين على إقامة العدل والقسطاس بين من هم تحت رعايتهم، والعمل على تأمينهم من كل مخوف، والسهر على راحتهم وما فيه رقيهم وسعادتهم، وعدم الاستكانة إلى الراحة والتواني، وكفّ أيديهم وألسنتهم عن تناول ماليس لهم بحق،

www.mtenback.com

فتسود الطمأنينة في القلوب وينصرف الناس إلى إتقان أعمالهم، وإجادة مصنوعـــاتهم وترقية شؤونهم في ظل السكينة والأمن.

ومن أروع صور محاسبة الراعي للمسؤول ما جاء في قصة ابن اللُّتْبيَّة الذي ولاّه الرسول ﷺ على أمر الصدقة فلما قدم بها «قال: هذا لكم وهذا أهـــدي إليّ. فقـــام الرسول فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد فإني أستعمل الرجل منكم على أمور مما ولاّني الله فيأتي فيقول: هذا لكم وهذه هدية أهديت لي، فهلا جلس في بيـــت أبيـــه وبيت أمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقًا، فوالله لا يأخذ أحدكم منها شيئًا بغير حقه إلاّ جاء الله بحمله يوم القيامة، فلا أعرفنّ أحدًا منكم لقي الله يحمل بعيرًا له رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر - ثم رفع يديه حتى رُئي بياض إبطيه - ألا هل بلغت»[١٣٨].

إن سياسة المراقبة والمحاسبة للمسؤولين تدفعهم إلى توخي الأمانة، كما تدفعهم لتجويد العمل ومراعاة المصلحة العامة. ولا يكفي الاعتماد على ما يظهره بعض الناس من علامات الصلاح والتقوى جاعلين ذلك ستارًا يخفون به سوء أعمالهم.

الأمانة في القضاء

العدل أحد الفروع الخلقية لحب الحقّ وإيثاره، وأحكام العدل وتطبيقاته إنما هي تنفيذ لما يقتضيه الحق والأمانة.

وعلى هذا فالعدل إعطاء كل ذي حق ما يعادل حقه ويساويه دون زيـــادة ولا نقصان ويمكن أن نعرفه بأنه المساواة بين التصرف وبين ما يقتضيه الحق دون زيـــادة ولا نقصان.

ومن أجل ذلك كان الميزان رمزًا لإقامة العدل.

---

[١٣٨] رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب ٢٦ هدايا الأمراء، صحيح مسلم م ٦/١١. حديث رقم ١٨٣٢.

www.mtenback.com

ولا تستقيم الحياة إلا بالعدل الذي هو أساس الحكم في الأرض. ولقوة العلاقة بين الأمانة والعدل جاءا في آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ (١٣٩).

وخص الله بالذكر في منتهى الآية الحكم بين الناس بالعدل مع أنه من أداء الأمانات إلى أهلها حين الخصومة، ولكن الخصومة من شأنها أن تجعل أداءها إلى أهلها أمرًا شاقًا عسيرًا؛ لأن كل خصم يبرر وجهته وقد يكون المبطل ألحن بحجته، فأداء الأمانة إلى أهلها في هذه الحال يحتاج إلى مزيد يقظة وانتباه وحذر وفطنة، مع قوة إرادة وحزم مع عزم، ولهذا ترى الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا...﴾ ختمت بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ فقد قدم الله وصيته للناس بأداء الأمانات قبل توصيتهم بالعدل عند الحكم؛ لأن من شأن المؤمنين أن يتبادلوا النّصفة، وأداء الأمانات، والقيام بالحقوق والواجبات، وألا يحتاجوا إلى محاكم، تفصل بينهم، فإذا غلب المتخاصمين الهوى ومشى الناس في أعقاب ظلم بعضهم بعضًا، ضيعوا الأمانة وعظم التخاصم واللجاج وعادوا بأقبح الخسارة، لذا نصحهم الله بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ﴾ أي نعم ما يرشدكم إليه، ونعم الشيء الذي يعظكم به وهو أداء الأمانات والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ أي سميع لما تقولون، وبصير بما تفعلون، فإذا حكمتم عدلاً فهو يسمع حكمكم ويجازيكم، وإذا أديتم الأمانة فهو يبصر فعلكم.

(١٣٩) سورة النساء: الآية ٥٨.

www.mtenback.com

والقاضي ملزم بتوخي الأمانة في كل الأحكام التي يصدرها، وفق الشرع والقانون الذي استؤمن عليه. لا يخاف في الحق لومة لائم يقول الله تعالى مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾[١٤٠].

فقد أمر الله رسوله محمدًا في هذا النص بأن يعلن أن الله قد أمره بإقامة شرائع الإسلام وأحكامه ليعدل بين الناس.

ففي جملة ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ محذوف يمكن تقديره على الوجه التالي: وأمرت بإقامة شرائع الإسلام وأحكامه لأعدل بينكم، أو أمرت بأوامر كثيرة لأعدل بينكم. والغرض من هذا الحذف إرادة العموم وذلك حتى يعم المأمور به كل النصوص الربانية التي يحقق تطبيقها مبدأ العدل[١٤١].

وقد دل هذا النص على أن شرائع الإسلام وأحكامه إذا أقيمت كما أمر الله تحقق مبدأ العدل بين الناس، لما فيها من مراعاة للعدل الذي هو من أجل الأصول العامة التي يقضي العقل السديد بضرورة مراعاتها في جميع النظم والأحكام والشرائع التي تنظم معاملات الناس ويخاطب الله الذين آمنوا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١٤٢].

---

[١٤٠] سورة الشورى: الآية ١٥.

[١٤١] انظر: الميداني، عبد الرحمن بن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، دمشق، ط١ (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ج١، ص٥٧٩.

[١٤٢] سورة المائدة: الآية ٨. لا يجرمنكم: لا يحملنكم. شنآن قوم: بغض قوم.

www.mtenback.com

فالمؤمنون مأمورون بأن يكونوا في أحكامهم وأقضيتهم ورعايتهم لمن تحت أيديهم وفي سائر شؤونهم قوامين لله، لا لأنفسهم وشهواتهم، وما توسوس به الشياطين. وهذه مسؤولية عظيمة في الحياة، يضعها الله في أعناق المؤمنين عامة وأعناق الذين يتولون الحكم والقضاء خاصة، ومن أعطاهم الله سلطة قوامة على الناس فعليهم أن يكونوا قوامين لتنفيذ شريعة الله التي تأمر بإقامة العدل.

وصيغة ﴿قَوَّامِينَ﴾ تشعر بضرورة المبالغة والحرص الشديد على التزام أحكام الله في سلطة القوامة، لأنها من صيغ المبالغة.

ونهى الله الذين آمنوا أن يحملهم بغضهم لقوم على ألا يعدلوا معهم فقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا﴾، وفي استخدام كلمة ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ بمعنى (لا يحملنكم) إشعار بأن الدافع إلى ترك العدل فيه، يحمل على ارتكاب جريمة الظلم أو الجور أو الخيانة والعدوان، ذلك لأن من يبغض قومًا فيحمله بغضه على أن يكون ظالمًا لهم أو جائرًا عليهم أو معتديًا على حقوقهم، في قوله أو فعله أو حكمه أو قضائه، لابد أن يركب مركب الجريمة. فإذا مزجنا شيئًا من معنى الجريمة في عبارة (لا يحملنكم) كانت مساوية لعبارة (لا يجرمنكم).

وفي استخدام كلمة ﴿شَنَآنُ﴾ بمعنى البغض إشعار بأن البغض بغض شديد مضطرب متحرك، يغلي في القلوب فيحمل على الجور أو الظلم أو العدوان، فالقرآن لم يستعمل كلمة البغض لأنها تصدق بالقليل منه والكثير، والساكن منه والمتحرك، وإنما استعمل كلمة (شنآن) ولم يستعمل مصدرًا آخر من المادة نفسها، إذ يقال لغة: شنًا وشنأةً وشنآن[١٤٣] إذا أبغضه، وإنما استعمل مصدر (شنآن) بهذه الصيغة الطويلة الدالة على الحركة والاضطراب.

[١٤٣] انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (شنأ).

www.mtenback.com

ولدى النظر والتحليل يتبين لنا أن الدافع إلى مجانبة العدل والأمانة في القضاء، إما عاطفة كراهية للجهة التي جرى الظلم ضدها، وإما عاطفة حب أو شفقة أو عصبية للجهة التي جرى الظلم أو الجور من أجلها، وقد حذر هذا النص من أن تحمل عاطفة الكراهية مهما كانت شديدة على تجاوز واجب الأمانة والعدل.

ثم قال تعالى مؤكدًا الأمر بالعدل: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ أي أقرب إلى كمال التقوى، ذلك لأن كمال التقوى يتطلب أمورًا كثيرة منها هذا العدل والأخذ بكل واحد من هذه الأمور، يقرب من منطقة التقوى الكاملة.

ومن أسس الأمانة في القضاء أن يكون القضاة قوامين لله بالقسط ولو كان ذلك ضد أنفسهم أو الوالدين والأقربين. يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[١٤٤].

فقد عالجت هذه الآية الكريمة دوافع الحب والشفقة والعصبية التي تحرض أيضًا على مجانبة سبيل الأمانة والعدل ومن أبرز أمثلة الحب حبُّ الإنسان نفسه ووالديه والأقربين، ومن أبرز أمثلة العصبية عصبية الإنسان لوالديه والأقربين، ومن أبرز أمثلة الشفقة شفقة الإنسان على الأقربين والفقراء. فقد يكون صاحب الحق الواضح غنيًا ويكون خصمه فقيرًا ذا حاجة، وفي هذه الحال قد ينحاز الحاكم أو القاضي أو الشاهد إلى جانب الفقير شفقة عليه، رهو يعلم أن الغني هو صاحب الحق، وهذه خديعة شيطانية لتبرير الجور والظلم، إن الحق هو الذي يجب اتباعه، ولا يجوز أن يكون الظلم

---

[١٤٤] سورة النساء: الآية ١٣٥.

www.mtenback.com

وسيلة لمساعدة الفقراء ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا﴾ فالله أولى وأحق بتقدير حال كلّ من الخصمين غنيًا كان أو فقيرًا.

ثم قال تعالى ﴿فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا﴾ أي: فلا تتبعوا هوى أنفسكم متجاوزين ما يجب عليكم من العدل، زاعمين أنكم تفعلون خيرًا، فالحق أحق أن يتبع، فالجارُّ المقدر قبل (أن تعدلوا) هو (عن) يدلّ على معنى التجاوز.

ويختم الله الآية بالتعريض بالعقاب لمن يلوي رأسه عن أمر الله بالتزام سبيل العدل، أو يعرض إعراضًا كليًا، فيقول سبحانه: ﴿وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

وقال العلماء: ينبغي للحاكم أن يعدل بين الخصوم فيسوّي بينهم في خمسة أشياء: في الدخول عليه، والجلوس بين يديه، والإقبال عليهما، والاستماع منهما، والحكم بالحق فيما لهما وعليهما[١٤٥].

وتوجب الأمانة القضائية تحري الحكم بالحق والقضاء به حيث كان وذلك بالاستناد إلى مبادئ الحق، التي أنزلها الله في كتابه وتتبع أوجه الحق في القضية المطروحة بين يدي القضاء، ثم الحكم بما استقر عليه رأي القاضي بعد اجتهاده وتحريه، فما يصل إليه القاضي في اجتهاده هو الأمر الذي يريه الله إياه، إذا سلك السبيل التي أرشد الله إليها للتعرف على وجه الحق.

يقول الله تعالى مخاطبًا رسوله الكريم: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾[١٤٦].

---

[١٤٥] الباني، محمد بشير: البناء الأخلاقي، مطبعة المعلم، دمشق، (١٩٦٥م)، ص ١٤٧.

[١٤٦] سورة النساء: الآية ١٠٥.

www.mtenback.com

فقد حددت الآية المسؤولية القضائية والسبيل إلى إصدار الأحكام والأقضية على الناس أولهم وحذرت من الانخداع بأكاذيب الخائنين وتضليلاتهم بالدفاع عنهم أو الحكم ببراءتهم مع وجود بعض الأمارات الدالة على خيانتهم ويحذر الله من الجدال عن الخائنين بقوله: ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[١٤٧].

وقوله تعالى: ﴿يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي: يخونون أنفسهم إلا أن (يختانون) فيها زيادة في المعنى مأخوذة من زيادة في بناء اللفظ، أي: يخونون أنفسهم وهم يعلمون أنهم خائنون، وقد جعلهم الله خائنين لأنفسهم لأن ضرر خيانتهم يعود عليهم.

وفي آخر الآية يؤنب الخوانين بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ ويحذرهم من عاقبة الخيانة بقوله ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾[١٤٨].

ولا يخفى أن من ثمرات الأمانة في القضاء تحقق أكبر نسبة من السعادة والطمأنينة للفرد الإنساني وللجماعة الإنسانية، ثم لسائر الشركاء في الحياة على هذه الأرض، ويتم إعطاء كل ذي حق حقه أو قسطًا من حقه وفق نسبة عادلة اقتضاها التوزيع العام المحفوف بالحق والعدل. فيأمن الفرد على نفسه وعلى حياته وماله وعرضه وعقله وجميع ممتلكاته. وتأمن الجماعة على أمنها واستقرارها ومقدراتها.

والتزام الأمانة في القضاء يكون سببًا في اكتساب مرضاة الله تعالى الخالق الرازق المنعم المحيي المميت الذي يجازي على الحسنة بأضعافها ويجازي على السيئة بمثلها فإنه سبحانه أمر بالعدل والقسط والأمانة وفعل الخير ، ومن استطاع أن يرضي الله تعالى

---

[١٤٧] سورة النساء: الآية ١٠٧.

[١٤٨] سورة النساء: الآية ١٠٨.

www.mtenback.com

بأمانته وعمله الصالح ظفر بمقدار عظيم من سعادة الحياة الدنيا في دار الابتلاء، وظفر بمقدار أجل وأعظم من سعادة الآخرة في دار الجزاء.

ورد في الحديث: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم. وأحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم عنده مجلسًا إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله وأبعدهم مجلسًا إمام جائر»[١٤٩].

وهذه المنزلة الرفيعة للقضاة العادلين الأمناء في الآخرة، يسبقها ذكر حسن في الدنيا وثناء طيب، يمدح الشاعر قاضيًا أمينًا فيقول[١٥٠]:

لَقَدْ حَمَلَ الأَمَانَةَ فَاطْمَأَنَّتْ ... عَلَى كَتِفَيْهِ وَالعَدْلُ اطْمَأَنَّا

وَسَارَ إِلَيْهِ ذُوْ حَقٍّ ضَعِيْفٌ ... فَلَمْ يُغْمِضْ عَلَى الإِنْصَافِ جَفْنَا

وَذُوْ جَاهٍ يَجِيءُ فَلاَ نَرَاهُ ... يُقِيْمُ لِجَاهِهِ فِي الحَقِّ وَزْنَا

وَلَمْ يَتَمَلَّقِ الحُكَّامَ يَوْمًا ... وَلاَ بِالْحَمْدِ سَبَّحَ أَوْ تَغَنَّى

وَلَيْسَ إِلَى النِّفَاقِ يَجُرُّ سَاقًا ... لَدَى أَحَدٍ لِيُدْرِكَ مَا تَمَنَّى

ويمدح الشاعر ابن خفاجة قاضي القضاة، ويثني على أمانته[١٥١]:

عُوْجَا عَلَى قَاضِي القُضَاةِ غُدَيَّةً ... فِي وَشْيِ زَهْرٍ أَوْ حِلَى أَنْدَاءِ

وتحمّلاَ عَنِّي إِلَيْهِ أَمَانَةً ... مِن عِلْقِ صِدْقٍ أو رِدَاء ثَنَاءِ

---

[١٤٩] رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب من ولي شيئًا فعدل فيه، م٦/٧ حديث رقم (١٢٠٧).

[١٥٠] هاشم الرفاعي: ديوانه، ص٢٤٣-٢٤٤.

[١٥١] ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح: ديوانه تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص١٣.

www.mtenback.com

وعلى المتخاصمين أن يدركوا أن أحكام القضاة لا تحلّ حراماً ولا تحرم حلالاً، فالقاضي قد يخطئ لسبب من الأسباب كغياب الأدلة والبراهين، أو لأن أحد المتخاصمين أقدر على عرض قضيته وإقناع القاضي بموقفه وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «إنما أنا بشر، إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن يكون ألحن[١٥٢] بحجته من بعض، فأقضيَ له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه فلا يأخذنّه، فإنما أقطع له قطعة من النار»[١٥٣].

فالقاضي قد لا يجد يقيناً يحكم به بين الناس في خصوماتهم، ولو أنه توقف عن الحكم حتى تأتيه الأدلة المفيدة لليقين لما استطاع أن يصدر أحكاماً في معظم الدعاوي التي تعرض عليه، لأنه لن يجد الدليل المفيد لليقين إلا في النادر القليل جداً، وهذا النادر قلما يرفع إليه.

وبذلك يتعطل القضاء وتتعطل مصالح الناس. فلا مناص للقاضي من الاعتماد على رجحان الظن فيما يعرض عليه من قضايا، وبناء على ذلك يصدر أحكامه ويفصل بين الخصوم.

إنّه إذا قدّم الشهود العدول شهاداتهم بإثبات حق من الحقوق أو جناية أو جريمة، فإن القاضي مكلف أن يجري حكمه وفق شهاداتهم، مع أنهم لا يفيدون أكثر من رجحان الظن، لاحتمال كونهم غير عدول في باطن الأمر، أو احتمال خطئهم أو نسيانهم، أو غير ذلك.

---

[١٥٢] ألحن: أعرف بسوق حجته.

[١٥٣] أخرجه البخاري في كتاب المظالم ٤٥، باب إثم من خاصم في باطل وهو يعلمه حديث رقم ١١٢٣ وأخرجه مسلم في كتاب القضاء، باب الحكم بالظاهر واللحن بالحجة، م٥/١٢٩.

www.mtenback.com

لكن قضاء القاضي لصالح أحد الخصمين وضد الخصم الآخر بناء على ظواهر الأدلة التي عرضت عليه، وزُينت له، لا يغير حقيقة الواقع، إنما يعطي مسوّغًا ظاهريًا لمن حكم له بأن يستفيد بين الناس من حكمه.

ويظل صاحب الحق في واقع الأمر هو صاحب الحق فعلاً عند الله، ويظل الظالم الظافر بحكم القاضي له ظالمًا عند الله، ويشدّد الله عليه العقوبة، لأنه ضلل القاضي بما زيف من أدلة فحكم له، فظهر بين الناس أنه صاحب حق وهو في الحقيقة ظالم مجرم، وجرم هذا أكثر وأعظم من جرم ظالم آخر هضم الحق دون أن يستغل القضاء بالتضليل والتزييف ليحكم له.

وقد جعل الله عز وجلّ رسله، في القضاء بين الخصوم، أسوة للناس في هذا، فلم يعطهم امتيازًا خاصًا يعرفون به حقائق أحوال الخصوم عن طريق الوحي، ليحكموا بين الناس بناء على ذلك، وإنما جعلهم مثل سائر القضاة يحكمون بحسب مايُعرض عليهم من أدلة، وبحسب مايترجح لديهم وما يغلب على ظنهم، فمن رجّحت الأدلة لديهم عند التقاضي أنه هو صاحب الحق حكموا له ضد خصمه، ولو كان واقع حال الأمر بخلاف ذلك. والله يتولى بعد ذلك عقاب الظالم هاضم الحق، ولا يعفيه من ذلك أن القضاء حكم له، بل يزيده ذلك عقابًا لأنه ضلل القاضي بما قدّم من أكاذيب، أو شهود زور أو حجج وأدلة زيّن له فيها أنه هو صاحب الحق.

وقد قص القرآن علينا قصة خصومة حكم بها النبيّان الرسولان داود وسليمان – عليهما السلام – استنادًا إلى نظرهما واجتهادهما للحكم بالعدل، وأبان الله أن فهم سليمان كان أقرب إلى العدل من فهم أبيه داود في تلك القضية.

قال الله عز وجلّ: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ. فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[١٥٤].

[١٥٤] سورة الأنبياء: الآيات ٧٨، ٧٩. نفشت فيه غنم القوم: أي رعت فيه ليلاً فأفسدته على أصحابه.

www.mtenback.com

روى الطبري بسنده عن ابن عباس: أن رجلين دخلا على داود، أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم . فقال صاحب الحرث: إن هذا أرسل غنمه في حرثي فلم يبق من حرثي شيئًا.

فقال له داود، اذهب فإن الغنم كلها لك، فقضى بذلك داود.

ومرّ صاحب الغنم بسليمان، فأخبره بالذي قضى به داود فدخل سليمان على داود فقال: يا نبي الله، إن القضاء سوى الذي قضيت.

فقال داود: كيف؟

قال سليمان: إن الحرث لا يخفى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفي ثمن الحرث، فإن الغنم لها نسل كل عام.

فقال داود: قد أصبت، القضاء كما قضيت[١٥٥].

أما قول الله عز وجل: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ فهو من التفهيم الذي قد يحصل نظيره لغير الأنبياء، وليس هو تفهيمًا عن طريق الوحي كما يتبادر للأذهان.

وكذلك يتفاوت القضاة في فهمهم للقضايا، ويكون فهم بعضهم أقرب إلى تحقيق العدل من فهم بعض.

ومن أمثلة تأثر الرسول ﷺ في نظره القضائي بأقوال الفريق الجاني ما يلي:

قالوا: نقب طعمة بن بشير بن أبيرق جدارًا لرفاعة بن زيد، وسرق له درعين ودقيقًا، وكان في جراب الدقيق خرق، فجعل ينتثر منه الدقيق، وكان ذلك أثرًا ماديًا دلّ على اللصوص.

وعرف رفاعة بن زيد وأهله أن بني أبيرق هم الذين سرقوا الدرعين والدقيق.

---

[١٥٥] الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، (١٩٨٨م)، تفسير سورة الأنبياء.

www.mtenback.com

فجاء قتادة بن النعمان بن أخي رفاعة بن زيد إلى الرسول ﷺ فشكا إليه بني أبيرق، وما كان منهم من سرقة. وشاع أمر بني أبيرق في المدينة، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ أُسيد بن عروة بن أبيرق، فقال:

يا رسول الله إن هؤلاء قد عمدوا إلى أهل بيت هم أهل صلاح ودين فاتهموهم بالسرقة، ورموهم بها من غير بيّنة، وأخذ يجادل عن ذويه.

فتنكر الرسول ﷺ لقتادة بن النعمان ورفاعة بن زيد لأنهما قد اتهما بني أبيرق دون بيّنة. فأنزل الله عليه ما بيّن له فيه خيانة اللصوص، ونهاه عن أن يدافع عنهم، أو يجادل لتبرئتهم، فهم مدانون بالخيانة، ولا سيما أن أمارتها تشير إليهم.

ولم يقتصر أمر بني أبيرق على إنكار ما كان منهم من جناية، وإنما رموا به بريئًا فألصقوا به التهمة، وهذا البريء هو: لبيد بن سهل، إذ قال بنو أبيرق: لسنا السارقين، لكن السارق لبيد بن سهل.

فأنزل الله قرآنًا كشف به سرقة بني أبيرق، وبراءة لبيد بن سهل من التهمة، وبين فيه لرسوله المنهج الذي يجب اتباعه في القضاء بين الخصوم، والأسلوب الذي ينبغي أن يعاملهم به[١٥٦].

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا . وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا . وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[١٥٧].

---

[١٥٦] سيد قطب: في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدّة، المملكة العربية السعودية، ط١٢، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج ٢، ص ٧٥٢.

[١٥٧] سورة النساء: الآيات ١٠٥-١٠٧.

www.mtenback.com

فعالج هذا النص القرآني كل العناصر التي اشتملت عليها أحداث سرقة طعمة ابن بشير بن أبيرق، مهتمًا بما يتصل بها من أحكام ونصائح وتوجيهات دينية وقضائية.

وكما تجب الأمانة على القاضي وعلى المتخاصمين، تجب كذلك على المحامي الذي عليه إظهار الحقّ، وليس تبرئة موكله ولو كان مخطئًا. وهذا يعني أن دور المحامي مماثل لدور القاضي؛ إذ يتعاونان من أجل إحقاق الحق ونصرة المظلوم. أما أن تكون رسالة المحامي الدفاع عن المذنب والمخطئ وهو عالم بذلك فهذا خرق للأمانة وخيانة لها.

فالمحاماة عن الباطل إثم كبير، فإن انضم إلى ذلك استخدام القوة الخطابية والمواهب النفسية في إظهار الحق في معرض الباطل ورسم الباطل في مظهر الحق كان الإثم أشد والجرم أكبر، أما أن تستخدم البلاغة وقوة العارضة في نصرة الحق وإزهاق الباطل في عبارة سياجها الأدب منزهة عن التشهير بالخصم والثلم للعرض فذلك ما لا حرج عليه فيه. بل له من الله أجر الدفاع وثواب الإقناع. وإذا كان قضاء الحاكم بالباطل لا يحل حرامًا، ولا يحرم حلالاً، فبأي وجه يستحل المحامون أجر الدفاع عن الباطل إذا وقفوا على الحقيقة قبل التوكيل أو في أثناء المرافعة؟

وتكون الأمانة في الشهادة بتحملها بحسب ما هي عليه في الواقع، وبأدائها دون تحريف أو تغيير أو زيادة أو نقصان.

والأصل في الشهادة أن تكون سندًا لجانب الحق، ومعينة للقضاء على إقامة العدل والحكم على الجناة الذين تنحرف بهم أهواؤهم وشهواتهم، فيظلمون أو يبغون أو يأكلون أموال الناس بالباطل، فإذا تحولت الشهادة عن وظيفتها فكانت سندًا للباطل، ومضللة للقضاء، حتى يحكم بغير الحق، استنادًا إلى ما تضمنته من إثبات، فإنها تحمل حينئذٍ إثم جريمتين كبيرتين في آنٍ واحد.

الجريمة الأولى: عدم تأديتها وظيفتها الطبيعية الأولى.

www.mtenback.com

الجريمة الثانية: قيامها بجريمة إيجابية، تهضم فيها الحقوق، ويظلم فيها البرآء، ويُستَعَانُ بها على الإثم والبغي والعدوان.

فهي في هذا كالقاضي الذي بيده سلطة القضاء ليحكم بالعدل، فيحكم بالجور والظلم والعدوان، اتباعًا للهوى، أو طمعًا بعرض من أعراض الحياة الدنيا.

وهي كالمستأمن الذي يخون من استأمنه ولذلك قرن الله تعالى التحذير من قول الزور بالتحذير من الشرك بالله فقال تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ (١٥٨).

وفي الحديث: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وكان متكئًا فجلس فقال: ألا وقول الزور وشهادة الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت»(١٥٩).

ففي هذا الحديث يصوّر الصحابيّ مدى ما صعد إليه اهتمام النبي ﷺ وهو يحذر أمته من قول الزور قائلاً: «ألا وقول الزور وشهادة الزور» عبارة قصيرة إلاّ أنها فارقت الكبائر الأولى مع ما فيها من الشرك بالله، فارقتها في عدة أمور اهتمامًا بها وتحذيرًا منها؛ أول هذه الأمور أنها سبقت بانتقال مفاجئ من حال الاتكاء إلى حال الجلوس إنذارًا منه أن شيئًا خطيرًا سيحدث. وثانيها: أنها سبقت بأداة التوكيد (ألا) ثم كررت عدة مرات لم يقدر راوي الحديث على حصرها، يقول: حتى قلنا ليته سكت، فقد كان سكوته ﷺ متمنى محبوبًا يشغل نفوسهم إشفاقًا عليه من انفعاله وعليهم من غضبه.

---

(١٥٨) سورة الحج: الآية ٣٠.

(١٥٩) رواه البخاري في كتاب الشهادات، باب ما قيل في شهادة الزور، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: أكبر الكبائر الشرك بالله، م١/٦٤..

www.mtenback.com

فلماذا هذا التأكيد البالغ وهذا التقرير العجيب الذي جعل الزور فوق الشـــرك؟ وقول الزور حرام بنص الآية: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾. والصحابة رضوان الله عليهم لا ينكرون ذلك بل يؤمنون به كل الإيمان وهم يعلمون أن شـــهادة الـــزور إلى جـــانب حرمتها تزري بالرجولة وتقدح في الأمانة وتخل بالشرف ومن ثمّ لا يمكن أن تكون من صفات المؤمنين. ولهذا نفى الله عن عباده المصطفين الأخيار هذه الصفة فيما نفى عنهم من كبائر فقال: ﴿وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[١٦٠].

أما اهتمامه ﷺ بشهادة الزور فيحتمل أن يكون لأنها أسهل وقوعًا من الناس، والتهاون بها أكثر، ومفسدتها أعسر وقوعًا على الناس. أو لأن الشرك يقع ضرره على صاحبه أما شهادة الزور فيتعدى ضررها صاحبها إلى غيره من أفراد المجتمع.

ويعد كتمان الحقيقة بالتزام الصمت خيانة عظمى لأنه يؤدي إلى ضياع الحقوق وفساد الذمم. يقول الله تعالى: ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [١٦١].

ويتكئ التعبير هنا على القلب فينسب إليه الإثم تنسيقًا بين الإضمـــــار للإثـــم والكتمان للشهادة. فكلاهما عمل يتم في أعماق القلب. ويعقب عليه بتهديد ملفوف، (والله بما تعملون عليم) فليس هناك خافٍ على الله. وهو يجزي عليه بمقتضـــى علمـــه الذي يكشف الإثم الكامن في القلوب!

وتلبية الدعوة للشهادة عند التقاضي، فريضة وليست تطوعًا، فهي وسيلة لإقامة العدل وإحقاق الحق. والله هو الذي يفرضها كي يلبيها الشهداء عن طواعيـــة تلبيـــة

---

[١٦٠] سورة الفرقان: الآية ٧٢.

[١٦١] سورة البقرة: الآية ٢٨٣.

www.mtenback.com

وجدانية بدون ضرر أو تلكؤ. وبدون تفضل على من يطلبها. قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾[١٦٢].

الأمانة في أداء العمل:

والأمانة المقصودة في هذا الوجه تشمل الناس كافةً لأن لكلّ منهم عملاً يؤديه، أيا كان موقع العامل أو نوع عمله.

وتتطلب الأمانة منه أن يؤدي عمله بإخلاص وصدق وإتقان وإحسان، وأن يجعل من نفسه رقيبًا ذاتيًا وإن غاب الرقباء، إدراكًا لعظم الأمانة وثقلها. والبون شاسع بين عاملين أحدهما لا يحسن عمله إلا إذا كان مراقبًا، وآخر يتقن عمله وإن لم يراقب؛ لأن وازع الأمانة الذي وقر في نفسه كان له موجهًا.

إن وظائف الدولة ومناصبها العامة ليست مغنمًا يسعى إليه اللاهثون وراء المكاسب السريعة ومتاع الدنيا، أو الجاه أو الشرف، وإنما هي أمانة لا يجوز حملها أو تحميلها إلا لمن كان همهم أداء أمانة أعمالهم التي أوكلت إليهم، وإتقانها وإيصال الحقوق لأصحابها، والنهضة بمصالح الأمة ورقيّها جاعلين من ضمائرهم رقيبًا عليهم. وفي ذلك يقول الشاعر مادحًا من أحسن أمانته من هؤلاء وصان المواثيق التي بذلها حين تسليمه المنصب ومشدّدًا على الرقابة الذاتية التي لا تغني القوانين عنها[١٦٣]:

أَمَانَةُ الملك تَدْعُوكُمْ وَتَدْعُونِي ... وَمَا سِوَى الصِّدْقِ يُرْضِيكُمْ وَيُرْضِينِي

أَهْلُ المواثيقِ صُنْتُمْ عَهْدَكُمْ وَأَتَتْ ... أَيْدِي الأَعِزّةِ فِي أَيْدِي المَيَامِينِ

شَارَكْتُمُوهُمْ وَأَنْتُمْ إخوةٌ وَهُمُ ... في الواجبِ الضَّخْمِ أَكْفَاءُ المَوَازِينِ

والأَمْرُ أَوْلَى بِرَاعِيهِ وَمُحْسِنِهِ ... فِي قَوْمِهِ لا بِمَأْفُوكٍ ومَأْفُونِ

---

[١٦٢] سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

[١٦٣] ديوان الكاشف، ص٤٣٤.

www.mtenback.com

وَمَـا القَوَانِيْـنُ فِي شَـعْبٍ بِمُغْنِيَـةٍ مَا لَمْ تَجِدْ ذِمَمًـا عَـدْلُ القَوَانِـينِ

ويندد الشاعر بأولئك الذين يريدون أن يستأثروا بالمناصب طمعًا بها[١٦٤]:

وَمَـا يُرِيْدُوْنَ إِلاَّ أَنْ يَكُـوْنَ لَهُـمْ كُلَّ المَنَاصِبِ فَوْضَـى والدَّوَاوِيـنِ

يُحَرِّمُـوْنَ عَلَيْكُـمْ مَـا لأَنْفُسِـهِمْ يُحَلِّلُـونَ بِـلا شَـرْعٍ ولا دِيْـنِ

وَاسْتَأْثَرُوا بِأَمَانَاتِ الحِمَـى وَقَضَـوا فِيْهِ عَلَى كُـلِّ مَحْفُـوْظٍ وَمَخْـزُوْنِ

وأداء الأعمال بأمانة من أسباب ازدهار المجتمعات وتقدمها. وهذا ما نلاحظه في العالم اليوم، من أن حرص الأفراد على أداء العمل بأمانة وإخلاص مما جعل كثيرًا من الأمم تحقق قدرًا كبيرًا من النجاح والتفوق في مجالات الإنتاج المختلفة، إذ يحرص الطالب والمعلم والطبيب والمهندس ورجل الأمن والتاجر والمزارع والصانع وغيرهم من أفراد المجتمع على مراعاة خلق الأمانة في أعمالهم. ولعلّ ما أصاب كثيرًا من المجتمعات من مظاهر التأخر والتخلف يعود إلى التخلي عن خلق الأمانة وتفشي قيم الخيانة والغدر والغش. وقد حثت كل الشرائع على خلق الأمانة في أداء العمل، وفي الحديث: «إنّ الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه»[١٦٥].

وقد حث الشاعر أحمد شوقي العمال على الأمانة في أداء الأعمال ويذكرهم بأجدادهم الذين أبدعوا وأتقنوا ويدعوهم إلى الإتقان ففيه مرضاة الله والثواب منه ومن الناس[١٦٦]:

أَيُّهَـا العُمَّـالُ أَفْنُـوا الـ ـعُمْـرَ كَـدًّا واكْتِسَـابَا

أَيْـنَ أَنْتُـمْ مِـنْ جُـدُودٍ خَلَّـدُوا هَـذا التُّرَابَـا

---

[١٦٤] الكاشف: ديوانه، ص٤٣٤.

[١٦٥] رواه الحاكم.

[١٦٦] أحمد شوقي: الشوقيات، ص ٩٠.

www.mtenback.com

اتْقَنُوا الصَّنْعَةَ حَتَّى ... أَخَذُوْا الخُلْدَ اغْتِصَابَا

إنَّ للمُتْقِنِ عِنْدَ ... اللهِ والنَّاسِ ثَوَابَا

أَتْقِنُوا يُحْبِبْكُمُ اللَّ ... هُ وَيَرْفَعْكُمْ جَنَابَا

والأمانة تتطلب من رب العمل أن يحسن معاملة العاملين عنده ويتلطف بهم ولا يكلفهم ما لايطيقون، ويعطيهم من الأجر ما يناسب عملهم.

والعلاقة بين الشريكين في التجارة أمانة، فعلى الشريك أن يكون صادقًا أمينًا مع شريكه لا يخونه ولا يغدر به.

ومن أمانة الموظف أن يجعل رضا الله هدفه لا رضا المسؤول، فيقف عند حدود القانون، لا يتجاوزه إرضاءً لأحد.

أراد عثمان رضي الله عنه أن يقرض بعض الناس من الخزينة العامة، وطلب إلى خازن بيت المال أن ينفّذ رغبته في ذلك فأبى عليه الخازن فقال له عثمان: أتأبى ذلك وأنت موظف عندنا؟ فجاء إلى المسجد وقال للناس، بصوت يسمعه كل من في المسجد: أيها الناس؛ لقد زعم عثمان أني خازن له، وإنما أنا خازن بيت مالكم، لا بيت ماله، وهاهي مفاتيح بيت المال أردّها إليكم، ثم رمى بالمفاتيح وخرج. وهذه هي أمانة الموظف الكريم يأبى أن يتجاوز القانون إرضاءً لرئيس أو زعيم[١٦٧].

وحيازة المال العام والاستيلاء عليه من أخطر أنواع الخيانة وأكثرها تأثيرًا في المجتمع. ورد في الحديث: «من استعملناه على عمل فرزقناه رزقًا، فما أخذ بعد ذلك فهو غلول»[١٦٨]. وذلك لأنه اختلس من مال الأمة التي أمنته على القيام بشؤونها وتحقيق مصالحها، وحماية حقوقها.

---

[١٦٧] السباعي: أخلاقنا الاجتماعية: ص١٥٦.

[١٦٨] أبو داود: سنن أبي داود. كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أرزاق العمال. رقم ٢٥٥٤.

www.mtenback.com

ومن يتابع ما يجري في هذه الأيام من أحداث يرى كثرة حوادث التعدي على المال العام، فها هي وسائل الإعلام تحفل بأخبار أولئك الذين يمدون أيديهم إلى أموال الدولة، وممتلكاتها وهم من كبار المسؤولين يخلطون بين الحق العام والحق الخاص؛ فيستحلون ما ليس لهم ويفتحون خزائن الدولة على مصاريعها آخذين منها ما يروق لهم وللمقربين منهم، وهذه أقبح صور خيانة الأمانة، ومما يشجع هؤلاء الخائنين على اللجوء لهذه السبيل أنهم لا يلقون العقوبة الرادعة التي تعدل جرمهم.

ومن الانحراف عن أمانة العمل انتشار الرشوة في المجتمعات وامتداد يد من إليهم الأمر إلى تناول ما ليس من حقهم، فلا ترى صاحب حق ينال حقه إلا إذا قدّم رشوة لمن عنده وسيلة الحصول عليه، ولا ترى ذا ظلامة يطمع في رفع ظلامته عنه إلا برشوة من يقدر على رفعها، وقد يبلغ الأمر بالمرتشي إلى مساومة الراشي في مقدار الرشوة، بل والجهر بذلك دون حياء ولا خجل، ولا تسل عما ينجم من الأضرار التي لا عدّ لها من ذلك، فالكرامة ضائعة والحقوق مهضومة، والنبوغ مقبور، والجد في العمل مضمحل والغيرة على أداء الواجب والدأب في مصلحة الأمة والأمانة في خدمتها وتقدير العاملين، كل ذلك يتلاشى ولا يجد له أثرًا في حياتها، ويحل مكانه الخمول والضعف، وتصاب مصالح الأمة بالشلل، وعقول النابغين بالعقم، ومواهب المفكرين بالجمود، وعزائم المجدين بالخور والفتور.

وأي خير يرجى من قوم يكون مقياس الكفاءة فيهم ما يتزلف به المرؤوس من قرابين؟ وأي إنتاج يترقب من هيئة حكومية لا يرقّى فيها إلا من قدّم بين يدي رقيه أنواع الهدايا والرشا لرؤسائه؟

وقد تلبس الرشوة ثوبًا مستعارًا، ولكنه يشف عن حقيقتها بأن تكون صورة هدية أو محاباة في بيع أو شراء، أو إبراء من دين أو نحو ذلك، وهي في جميع هذه الصور رشوة بشعة المنظر سيئة المخبر، كريهة الرائحة، ملوثة للشرف والكرامة، مضيعة للعفة والأمانة.

www.mtenback.com

ولذا كان الراشي والمرتشي ملعونين من الله ومن الناس؛ كما يخبرنا الحديث: «لعنة الله على الراشي والمرتشي»[١٦٩]. لأن الراشي يساعد المرتشي على تضييع الحقوق، ويسهل له أكل أموال الناس بالباطل، وينمي فيه الخلق السيئ، وييسر له التحكم فيما هو حق لغيره، فيستمرئ هذا المرعى الوبيل. والمرتشي قد أخذ مال غيره ومنع الحق عن صاحبه، حتى يأخذ الرشوة منه. وربما كان الراشي في حاجة ماسة إلى ما يقدم إليه، والرشوة محرمة حتى ولو كان في سبيل إيصال الحق إلى صاحبه؛ لأنها مال بدون عوض، فما بالك إذا كانت لأجل ظلم شخص أو منع المستحق عن حقه.

ومن نوع الرشوة الهدايا التي تهدى للقضاة ونحوهم، لأن المهدي إذا لم يكن معتاداً للإهداء إلى القاضي قبل ولايته لا يهدي إليه. إلا لغرض وهو إما التقوّي به على الباطل، أو التوصل بالهدية إلى حقه، وأقل الأحوال أن يكون طالباً الزلفى إليه وتعظيمه والاستطالة على خصومه أو الأمن من مطالبتهم له، فيحتشمه من كان له عليه حق، وهذه الأغراض كلها تؤول إلى ما آلت إليه الرشوة، فضلاً عن أن للإحسان تأثيراً في طبع الإنسان، والقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، فربما مالت نفس الحاكم أو القاضي إلى المهدي ميلاً يدفعه إلى إيثاره على خصمه عند المخاصمة، وهو لا يشعر بذلك ويظن أنه لم يخرج عن الصواب والحق، بسبب ما غرسته الهدية في قلبه، والرشوة لا تفعل أكثر من هذا.

وبعد، فالرشوة فخ المروءة ومصيدة الأمانة والشرف، لا يقدمها إلا مبطل خائن وضيع، ولا يقبلها إلاّ دنيء النفس سافل المروءة، مساوم في دينه وخلقه وكرامته، ولا أدري بأي شيء بعد ذلك يعيش الإنسان؟

---

[١٦٩] سنن ابن ماجة، كتاب الأحكام، باب التغليظ في الحيف والرشوة، رقم ٢٣٠٤.

www.mtenback.com

وعلى أولئك الذين استباحوا الأموال العامة وتهاونوا في صيانة حقوق الأمة وعدّوا ما تحت أيديهم مغانم، يشنّ البوصيري حملته قائلاً[١٧٠]:

ثكلتُ طوائفَ المُسْتَخْدَمينا ... فلمْ أرَ فيهمُ رجلاً أمينا

بأيِّ أمَانةٍ وبأيِّ ضَبْطٍ ... أُرُدُّ عَنِ الخِيَانَةِ فَاسقِيْنَا

إذَا أُمَناؤُنَا قَبِلُوْا الهَدَايَا ... وَصَارُوْا يَتْجَرُوْنَ وَيَزْرَعُوْنَا

فلِمْ لاَ شَاطَرُوا فِيما اسْتَفَادُوا ... كَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَفْعَلونَا

كأنهمُ عَلَى مَالِ الرَّعَايَا ... ومَالِ رُعَاتِهِمُ يَتَحَيَّلُونَا

تَحَيَّلتِ القُضَاةُ فَخَانَ كُلٌّ ... أَمَانَتَهُ وسَمَّوْهُ الأَمِيْنَا

الأمانة في حفظ الأسرار:

يتحمل الإنسان في هذه الحياة أنواعًا من الأسرار؛ منها ما يكنّه في ضميره لنفسه، ومنها ما يكون لصديقه أو معارفه، ومنها ما يكون أسرارًا في العمل.

ومن حق من استأمنك على سرّه أن تحفظه له فلا تفشيه، وحديثه لك وسرّه عندك أمانة والأمانة يجب حفظها، وعدم تعريضها للسلب أو النهب أو السرقة، وإفشاء السرّ خيانة لمن استودعه. وقد كان من سجايا العرب حفظ السر وكتمه، يقول مصرّف بن الأعلم[١٧١]:

فَأَدِمْ وِصَالَكَ للصَّدِيْقِ وَلاَ تُضِعْ ... سِرَّ الأَمِيْنِ وَكُنْ كَذلِكَ تَصْنَعُ

وتقول أمّ الضحاك المحاربية[١٧٢]:

يَقُولُ خَلِيلُ النَّفْسِ أَنْتِ مُرِيْبَةٌ ... كِلاَنَا لَعَمْرِي قَد صَدَقْتَ مُرِيْبُ

---

[١٧٠] البوصيري: ديوانه، ص٢٢٠.

[١٧١] ابن قتيبة، محمد بن مسلم: معجم الشعراء: ص ٣٠٧.

[١٧٢] القالي، أبو علي: الأمالي ٨٧/٢.

www.mtenback.com

وَأَرَيْنَنَا مَنْ لا يُؤَدّي أَمَانَةً وَلاَ يَحْفَظُ الأَسْرَارَ حِينَ يَغِيبُ

كما كانوا يعدّون حفظ السرّ أمانة، لا يليق بالكرام أن يضيعوها مهما طال عليها الزمن، ومهما تجشموا في حفظها الصعاب. يقول قيس بن الخطيم[١٧٣]:

يَا عَمْرُو إِنْ تَسُدِ الأَمَانَةُ بَيْنَنَا فَأَنَا الَّذِي إِنْ خُنْتَهَا يَرْعَاهَا

يَا عَمْرُو لَيْسَ أَخُوْ الأَمَانَةِ بِالَّذِي مَا رَابَهُ مِنْ خُطَّةٍ أَفْشَاهَا

يَا عَمْرُو إِنَّ أَخَا الأَمَانَةِ كَاتِمٌ لَوْ يَسْتَطِيْعُ بِجِلْدِهِ أَخْفَاهَا

وقد امتدحوا خلق الأمانة في حفظ الأسرار، قال الشريف الرضي مفتخرًا بذلك[١٧٤]:

أَمِينُ نَوَاحِي السِّرِّ لم تَسْرِ غَدْرَةٌ بِبَالِي وَلَمْ أَحْفِلْ بِدَاعِيَةِ الصَّدِّ

ويقول قيس بن الخطيم[١٧٥]:

وَإِنْ ضَيَّعَ الإِخْوَانُ سِرًّا فَإِنَّنِي كَتُومٌ لأَسْرَارِ العَشِيْرِ أَمِيْنُ

يَكُونُ لَهُ عِنْدِي إِذا مَا ضَمَمْتُهُ مَقَرٌّ بِسَوْدَاءِ الفُؤَادِ كَنِينُ

والمرء لا يخلو أن يحتاج إلى صديق ناصح أو رجل عاقل يستشيره في أمر قد ألح عليه، أو قضية أظلمت نواحيها عليه، وهنا تبدو ضرورة اختيار الأمناء فلا يكون صاحب السرّ هو أول من فرّط بإضاعته بعد استئمان الأمين. يقول عامر بن الطفيل[١٧٦]:

---

[١٧٣] قيس بن الخطيم: ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق: ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت ط٢، (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، ص٢١٥.

[١٧٤] الشريف الرضي: ديوانه، ص٣١٩.

[١٧٥] قيس بن الخطيم: الديوان، ص ١٦٣. قمين: حريّ وجدير وخليق (لسان العرب، مادة قمن).

[١٧٦] عامر بن الطفيل العامري: ديوانه دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ص٢٤.

www.mtenback.com

إذا أَنْتَ لَمْ تَجْعَلْ لِسِرِّكَ جُنَّةً تَعَرَّضتَ أن تُرْوى عَلَيْكَ العَجَائِبُ

وليس كل من كان على الأموال أمينًا، كان على الأسرار مؤتمنا والعفة في الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار؛ لأن الإنسان قد يذيع سرّ نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه، ويشحّ باليسير من ماله حفظًا له، وضنًّا به، ولايرى ما أضاع من سرّه كبيرًا، في جنب ما حفظه من يسير ماله، مع عظيم الضرر الداخل عليه؛ من أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشدّ تعذرًا، وأقل وجودًا من أمناء الأموال وكان حفظ المال أيسر من كتم الأسرار. قال عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه: «القلوب أوعية الأسرار والشفاه أقفالها، والألسن مفاتيحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سرّه»[١٧٧].

وللعلاقات الزوجية قداسة، فما يضمه البيت من شؤون العشرة بين الرجل وزوجته يجب أن يطوى في أستار مسبلة فلا يطلع عليه أحد مهما قرب. فأسرار البيت يجب أن تصان، وفي الحديث: «إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[١٧٨].

فقد عدّ الرسول ﷺ ذلك من أعظم أنواع الخيانة فعن أسماء بنت زيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود عنده فقال: «لعلّ رجلاً يقول ما فعل بأهله ولعلّ امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها؟ فأزمّ القوم[١٧٩]، فقلت أي والله يا رسول الله إنهم ليفعلون، وإنهن ليفعلن ! قال: فلا تفعلوا فإنما مثل ذلك مثل شيطان لقي شيطانة فغشيها والناس ينظرون»[١٨٠].

---

[١٧٧] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢٩٦.

[١٧٨] أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الأدب، ٣٢.

[١٧٩] سكتوا وجلين.

[١٨٠] أحمد: بن حنبل، المسند ٥٤١/٢.

www.mtenback.com

والسفهاء من العامة يثرثرون بما يقع بينهم وبين أهلهم من أمور وهذه خيانة للأمانة حرمها الله.

ومن معاني الأمانة أن تحفظ حقوق المجالس التي تشارك فيها، فلا تدع لسانك يفشي أسرارها ويسرد أخبارها. فكم من حبال تقطعت، ومصالح تعطلت، لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس وذكرهم مايدور فيه من كلام، منسوبًا إلى قائله، أو غير منسوب. ومن ذلك الاجتماعات الرسمية التي تناقش فيها أسرار الدولة ومصالحها وقراراتها الأمنية والاقتصادية والسياسية.

قال رسول الله ﷺ: «إذا حدّث الرجل الحديث ثم التفت، فهو أمانة»[١٨١]. أي: ماحدث به مما يسيئه إعلانه هو أمانة استودعها سرّ من ألقى إليه الحديث. وهذه الأمانة يجب حفظها وعدم إفشائها ولذلك كان من المعروف عند الناس أنهم إذا أرادوا أن يوصوا جلساءهم بحفظ ما يجري في مجالسهم وعدم إفشائه يقولون: المجالس بالأمانات. وهذا القول مأخوذ من كلام الرسول ﷺ ففي الحديث: «المجالس بالأمانة، إلا ثلاثة مجالس: سَفْكِ دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق»[١٨٢].

فحرمات المجالس تصان ما دام الذي يجري فيها مضبوطًا بقوانين الأدب وشرائع الدين والأخلاق، وإلا فليست لها حرمة.

وقوله ﷺ المجالس بالأمانة: أي المجالس تعقد بالأمانة على ما يجري فيها، أو المجالس ملزمة للمشتركين فيها بالأمانة، ولكنه ﷺ يستثني منها ثلاثة مجالس:

المجلس الأول: مجلس سفك فيه دم حرام، فهذا يجب الشهادة به، ولا يجوز كتمه، بل كتمه خيانة عامة، وخيانة لأولياء القتيل وخيانة لحق الله.

---

[١٨١] أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب، ٣٢، حديث رقم ٤٨٦٨

[١٨٢] المصدر السابق نفسه، حديث رقم ٤٨٦٩.

www.mtenback.com

ومجلس من هذا النوع لا حرمة له ولا أمانة له، لأن أصحابه قد خانوا الله فيما استأمنهم عليه وخانوا أخاهم فاعتدوا على حياته، ولم يكونوا أمناء عليها، فكيف يكون لهم حق في حفظ سرّ مجلسهم.

المجلس الثاني: مجلس كان فيه اعتداء على عرض حرام، ومجلس من هذا النوع لا حرمة له، ولا أمانة له، بشرط أن يتوافر للشاهد به نصاب الشهود الأولية، لئلا يدان بالقذف، فحق الله هو الأحق بالأمانة عليه وأدائه كما أمر الله.

المجلس الثالث: مجلس اعتدي فيه على مال بغير حق، فهذا مجلس لا حرمة له أيضًا، ولا أمانة له.

ومن هنا يمكن القياس على هذه المجالس ما كان شبيهًا لها، فمن المجالس التي لا أمانة لها تلك التي تدبر فيها المؤمرات ضد المسلمين، فهذه مجالس لا حرمة لها، بل التستر عليها خيانة عظمى.

ومن الأمانات المسترعاة ما استؤمن عليه الفرد، وهي أن يكون حافظًا راعيًا للجماعة، أمينًا على مصالحها، وعينًا يقظة ساهرة تراقب مكائد أعدائهم ومؤامرات من يتآمرون ضدهم، ضد دينهم، أو ضد جماعتهم، أو ضد قادتهم الصالحين.

فإذا استثنينا هذه المجالس استطعنا أن ندمغ من يفشي أسرار المجالس التي لا شرّ فيها ولا إثم بالخيانة، وحيثما يكون إفشاؤها يفضي إلى أضرار جسيمة فإن من يفشيها يتحمل جريرة كل الأضرار التي تستتبع إفشاءها، لا سيما إذا كانت أسرارًا ترتبط بها مصالح المجتمع، وكان إفشاؤها يضر بالمصلحة العامة، وعندئذٍ تكون خيانة عظمى، لا خيانة فردية جزئية.

ومن الأسرار التي يجب حفظها، ما يكشفه المريض للطبيب من علة أو مرض يفضّل كتمانه، وعدم إظهاره للناس.

www.mtenback.com

ومن ذلك الأسرار التي يبوح بها الأفراد أو الشركات والمؤسسات للمحـــامين الذين يتولون شؤونهم والدفاع عن مصالحهم، فهؤلاء مؤتمنون على مايطلعون عليه من معلومات قد يترتب على أصحابها ضرر إذا أفشيت.

ومن الأسرار التي يجب صيانتها المعلومات الخاصـــة بحســابات المودعــين في المصارف.

وللحكماء والشعراء أقوال كثيرة وحكم عديدة تحث على كتمان الأسرار وتعدّ إفشاءها خيانة. قال المهلب بن أبي صفرة «أدنى أخلاق الشريف كتمان السرّ، وأعلـــى أخلاقه نسيان ما أسرّ إليه، وقيل كتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال، وكما أنه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها، فكذلك لا خير في إنسان لا يمسك سرّه»[١٨٣].

وقال عمر بن أبي ربيعة[١٨٤]:

أَمِـينٌ مَـا يَخُـونُ لَـهُ صَدِيقًـا إِذا وَلَّـى لَـهُ خُلُـقٌ كَرِيـمُ

وَإِنِّي حِـينَ يُفْشِـي السِّـرَّ هـاذٍ لِسِـرِّي حَـافِظٌ أَبَـدًا كَتُـومُ

ويحكي أن رجلاً استراح إلى جليس له في مجلس السلطان فرفع ذلك عليه، فلما أوقف السلطان ذلك القائل على قوله أنكر أن يكون أحد سمع ذلك منه، فقال: بـــل فلان سمع ذلك منك. فهل ترضى به؟ قال: نعم. فكشف الستر عن الرجل، فقال: بلى أنت قلت ذلك لي، فسكت المرفوع عليه ساعة ثم أنشأ يقول[١٨٥]:

وَأَنْتَ امْرؤٌ إِمَّـا ائْتَمَنْتُـكَ خَالِيًـا فَخُنْتَ وَإِمّا قُلْتَ قَـولاً بِـلا عِلْـمِ

فَأَنْتَ مِنْ الأَمْرِ الَّذِي قُلْـتَ بَيْنَنَـا بِمَنْزِلَـةٍ بَـين الخِيَانَـةِ والإِثْـمِ

---

[١٨٣] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص ٢٩٧.

[١٨٤] عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، ص ٣٨٥.

[١٨٥] ابن عبد البر القرطبي: بهجة المجالس: ص ٥٧٧.

www.mtenback.com

الأمانة في أداء الودائع:

حفظ الودائع وأداؤها إلى أصحابها من أبرز الأمانات. وبعض الناس لا يعرفون من معاني الأمانة إلا الحفاظ على الوديعة، ويتصورونها مقصورة عليها. والمؤتمن عند الناس إنسان نبيل الخلق رفيع المنزلة، وإن لم يكن ذا منصب أو سلطة أو جاه؛ يحبه الناس ويقدرونه، وله في أمان المجتمع واستقراره وطمأنينته الدور الكبير.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[١٨٦].

ففي هذه الآية أمر يفيد وجوب تأدية جميع أنواع الأمانات التي تقع تحت سلطة كل واحد منّا إلى أهلها، أي إلى مستحقيها. وسميت الودائع والعواري التي وضعها الله في حوزة الإنسان وتحت سلطته أمانات؛ لأنها لا تؤدى إلى أصحابها ومستحقيها إلا بخلق الأمانة، فخلق الأمانة هو الخلق المسؤول عن تأدية الودائع والعواري إلى أهلها وعن إعطاء الحقوق إلى مستحقيها.

والودائع بين الناس تشمل ماهو مادي كالأموال وماهو معنوي مثل الوصية عند الموت، والشهادات عند التعاقد والدّين والقضاء وكتمان الأسرار.

وقد مدح الناس من يحفظ الودائع وعابوا من خانها، قال حميد بن ثور الهلالي[١٨٧]:

أُمَلِّيكُمَا إنَّ الأَمَانَةَ مَنْ يَخُنْ ... بِهَا يَحْتَمِلْ يومًا من اللهِ مَأْثَمَا

---

[١٨٦] سورة النساء: الآية ٥٨.

[١٨٧] ديوان حميد بن ثور الهلالي، صنعه عبدالعزيز الميمني، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ص٢٨.

www.mtenback.com

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «واعتبار الوديعة غنيمة باردة هو ضرب من السرقة الفاجرة»[١٨٨].

وفي الحديث: «القتل في سبيل الله يكفّر الذنوب كلها إلا الأمانة.. يؤتى بالعبد يوم القيامة – وإن قتل في سبيل الله – فيقال أدِّ أمانتك ! فيقول: أي ربّ كيف وقد ذهبت الدنيا؟ فيقال: انطلقوا به إلى الهاوية، وتُمثل له أمانته كهيئتها يوم دفعت إليه فيراها فيعرفها فيهوي في أثرها حتى يدركها فيحملها على منكبيه، حتى إذا ظنّ أنه خارج زلّت عن منكبيه، فهو يهوي في أثرها أبد الآبدين، ثم قال: الصلاة أمانة، والوضوء أمانة، والوزن أمانة، والكيل أمانة وأشياء عدّدها وأشدّ ذلك الودائع»[١٨٩].

ومن الخيانة أن يطمع المرء في أمانات الناس وودائعهم التي حفظوها عنده، ومن معاني الأمانة أن يوطن نفسه على رد الحقوق مهما كلفه ذلك من عناء وجهد.

وجاء في الحديث: «من أخذ من أموال الناس يريد أداءها أدّى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله»[١٩٠].

وللناس في الودائع والأمانات ثلاثة مواقف:

أولها: أن يعتذر الإنسان عن قبول الوديعة خوفًا من ضياعها أو التصرف فيها. وثانيها: أن يقبل الوديعة من صاحبها ولكنه يضيعها ويفرّط فيها. أما الموقف الثالث: فإن المرء يحفظ الوديعة كما يحفظ ممتلكاته ولا يستعملها بل يصونها ويردها إلى صاحبها حين يطلبها.

وتشمل الودائع كل ما تحت يد الإنسان مما يستطيع التصرف فيه من ودائع وعوارٍ استأمنه عليها مالكها، ألا وهو خالقها وبارئها ومصورها، وممدها بالوجود

---

[١٨٨] محمد الغزالي: خلق المسلم، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، ط٩، (١٣٩٤هـ/١٩٧٤م)، ص٥٣.

[١٨٩] رواه الإمام أحمد، المسند ٢/٣٦١.

[١٩٠] رواه البخاري في كتاب الاستقراض وأداء الدين حديث رقم ٢٢١٢.

www.mtenback.com

والبقاء، فعلى الإنسان أن يؤدي حقوق هذه الودائع والعواري، وعليه أن يحفظها ويستعملها فيما أذن له به من استأمنه عليها.

لقد جعل الله ما في مستطاع الإنسان من القوى الظاهرة والباطنة تحت يده، فهو يستطيع التصرف بها حسب إرادته ولكنه مطالب بألا يتصرف بها في فعل شر أو ضرّ أو معصية أو عدوان، فإذا تصرّف بها في فعل شيء من ذلك فقد خان فيما استأمنه الله عليه.

فمن القوى التي تخضع بإذن الله لسلطان إرادة الإنسان فيتصرف بها كما يشاء قوى الجوارح على العمل والتصرف بالأشياء التي تقع في متناولها. منها قوة البصر، وهذه القوة إذا استعملها الإنسان في تتبع عورات الناس على سبيل التجسس المحرم فقد خان فيما استأمنه الله عليه، أما إذا استعملها في النظر إلى آلاء الله ومظاهر قدرته وفيما أذن الله له به فإنه يكون قد حفظ الأمانة، والله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

ومنها قوة اللسان، فإذا استعمل الإنسان قوة لسانه على النطق في الدعوة إلى الخير، وفي قول الخير والبر والمعروف وفي كل ما أذن له به مالكه الحقيقي وهو الله تبارك وتعالى، فقد أثبت أنه صاحب أمانة، أما إذا استعمل لسانه في الدعوة إلى الكفر والعصيان وفي قول الشر والإثم والمنكر ونشر الأكاذيب والأضاليل، فإنه يبرهن على نفسه بأنه خائن فيما استأمنه الله عليه وليس بأمين.

ومنها قوة التفكير وقوة الحيلة في تصريف الأمور، فإذا استعمل الإنسان قوة تفكيره وحيلته فيما فيه عدوان على حق الله صاحب هذه القوة ومالكها الحقيقي، والقادر على انتزاعها متى شاء أو استعملها فيما فيه ظلم أو عدوان على أحد من خلق الله، أو في أي أمر لا يرضي الله تعالى فهو خائن فيما استأمنه الله عليه وجعله وديعة أو عارية بين يديه، أما إذا استعمل هذه القوة في طاعة الله وفيما أذن له به فإنه يبرهن بذلك على أنه أمين وليس بخائن.

www.mtenback.com

ومن القوى التي تخضع لسلطان إرادة الإنسان فيتصرف بها كما يشاء. هذه الأشياء الكثيرة في هذا الكون مما للإنسان قدرة على التصرف فيه، هي أيضًا ودائع أو عوارٍ استأمن الله الناس عليها، وطلب منهم أن يحفظوها، وينتفعوا بها ضمن المنهاج الذي رسمه لهم مالكها الحقيقي، فإذا تصرفوا بها على غير ما أوصى به الله فقد خانوا ما استأمنهم عليه.

والحياة وديعة عند الناس، وأي عدوان عليها بغير إذن مالكها ومودعها خيانة وأية خيانة، والمحافظة عليها ورعايتها وصيانتها مما يؤذيها حتى يستردها مودعها مما توجبه الأمانة، فالمنتحر خائن لما استأمنه الله عليه، وقاتل النفس بغير حق خائن لما استأمنه الله عليه، ولذلك قيل أول خائن في الناس لوديعة الحياة هو قابيل، إذ قتل أخاه هابيل استجابة لنوازع الشهوة والحسد والغضب.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُمْ مَا في الأَرْضِ جَميعًا... الآية﴾	٢٩	٥١
	﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ... الآية﴾	٤٤	٥٧
	﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ... الآية﴾	٢٣٣	٤٥
	﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا... الآية﴾	٢٨٢	٨٣
	﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ... الآية﴾	٢٨٣	٨٢
آل عمران	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ... الآية﴾	١٧٨	٥٤
النساء	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ...﴾	٣٥	٧٠
	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى... الآية﴾	٥٨	٩٤
	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ... الآية﴾	١٠٥	١٠٥
	﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا... الآية﴾	١٠٧	٧٤
	﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ.. الآية﴾	١٠٨	٧٤
المائدة	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ... الآية﴾	٣	٢٦
	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ.. الآية﴾	٨	٧٠
الأنعام	﴿فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ... الآية﴾	٩٦	٤٠
الأعراف	﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا... الآية﴾	٦٥	٢٢
الأنفال	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ.. الآية﴾	٥٧	٣٣
	﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى... الآية﴾	٥٨	٣٤
هود	﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ... الآية﴾	٨٨	٥٧
يوسف	﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ.. الآية﴾	٥٥	٦٦
إبراهيم	﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا... الآية﴾	٣٤	٣٥
النحل	﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا... الآية﴾	٧٨	٧٨

www.mtenback.com

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
الإسراء	﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ... الآية﴾	٢٣	٤٨
	﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا.. الآية﴾	٣٢	٣٨
	﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ.. الآية﴾	٣٦	٣٥
الأنبياء	﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ... الآية﴾	٧٨	٧٧
الحج	﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ.. الآية﴾	٣٠	٨١
المؤمنون	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ... الآية﴾	٨	١٢
الفرقان	﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا... الآية﴾	٧٢	٨٢
الشعراء	﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ... الآية﴾	١٠٧	١٠٧
القصص	﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ... الآية﴾	٢٤	٣٣
الأحزاب	﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ... الآية﴾	٧٢	١٨
الزمر	﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا... الآية﴾	٩	٥١
الشورى	﴿وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ.. الآية﴾	١٥	٧٠
التين	﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ.. الآية﴾	٤	٣٥
التكاثر	﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	٨	٣٥

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«إذا أتاكم من ترضون»	٣٨
«إذا حدث الرجل الحديث»	٩١
«إذا ضيعت الأمانة»	٦٢
«أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً»	٢٤
«استوصوا بالنساء خيراً»	٤٩
«ألا أنبئكم بأكبر الكبائر»	٨١
«اللهم إني أعوذ بك»	٥٧
«إن الأمانة نزلت...»	١٤
«إن الله يحب....»	٨٤
«إنما أنا بشر»	٧٦
«إن من أعظم الأمانة»	٩٠
«إنه يأمر بالصلاة»	٢٤
«إياكم والتنعم»	٤٦
«آية المنافق ثلاث»	٣٣
«تنكح المرأة لأربع»	٤٠
«الحكمة ضالة المؤمن»	٤١
«دينار أنفقته»	٤٥
«فإن لزوجك عليك حقًا»	٣٦
«القتل في سبيل الله»	٩٥
«كلكم راع ومسؤول»	٣٢
«لا إيمان لمن لا أمانة له»	٩

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«لا تسأل الإمارة»	٦٥
«لعل رجلاً يقول»	٩٠
«لعنة الله على الراشي»	٨٧
«ما أدع بعدي فتنة»	٣٧
«مثل الذي يعلم الناس»	٥٨
«المجالس بالأمانة»	٩١
«المسلم من سلم المسلمون»	٣٢
«من أخذ أموال الناس»	٩٥
«من استعملناه على عمل»	٨٥
«من كتم علماً»	٥٤
«من لم يرحم صغيرنا»	٤٨
«من ولي من أمر المسلمين»	٦٢
«يا معشر الشباب»	٣٨

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ى ـــ		
يا عمرو	يرعاها	قيس بن الخطيم	٣	٨٩
حامل النار	أقوى	أحمد الكاشف	١	٦
		ـــ ء ـــ		
عوجا على	أنداء	ابن خفاجة	٢	٧٥
وجدوك	الأمناء	ابن حيوس	١	٦٢
		ـــ ب ـــ		
إذا أنت	العجائب	عامر بن الطفيل	١	٩٠
أيها العمال	اكتسابا	أحمد شوقي	٤	٨٤
يقول خليل	مريب	أم الضحاك المحاربية	٢	٨٨
		ـــ ت ـــ		
لبيك	طاعات	أحمد الكاشف	٣	٦٤
		ـــ ح ـــ		
وقد أغتدي	سبوح	عبيد بن الأبرص	١	١٠
		ـــ د ـــ		
لا يصيح	سادوا	ـــ	١	٦٣
رشدت	الأولاد	أبو طالب	١	٢٥
أمين	الصدّ	الشريف الرضي	١	٨٩
إذا أنت	مسند	عبيد بن الأبرص	١	٣٠
وجدت	بعهد	عبيد بن الأبرص	١	٣١

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		— ر —		
وإن قسيّي	حادر	ابن الرومي	١	١٠
شريح لا	أظفاري	السموءل	١٣	٢٨
القوي	العمار	أحمد الكاشف	١	٦
حامي الذمار	الصدر	هرم بن سنان	١	٢٧
يكفيه حمل	تنفطر	البوصيري	٢	٢١
		— ع —		
فأدم وصالك	تصنع	معّرف بن الأعلم	١	٨٨
		— ف —		
لو أن	الشرف	أعشى قيس	١	٣٠
		— ق —		
قل لي	صديقا	هاشم الرفاعي	٤	٦١
		— ك —		
أتانا	كذلكا	العباس بن مرداس	٢	٢٦
		— ل —		
أبلغ سليمان	مال	الخليل بن أحمد	٤	٥٩
		— م —		
ولو كان	العزائم	الفرزدق	٢	٢٧
أمين	للخواتم	أبو طالب	١	٢٥
وإذا الأمانة	قسامها	لبيد بن ربيعة	١	٢٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
أمليكما	مأثما	حميد بن ثور الهلالي	١	٩٤
إن الأمير	المأثم	ــ		٦٣
يقولون لي	أحجما	علي بن عبد العزيز	١٠	٦٠
تلك الرواسي	الظلم	البارودي	٤	٢١
وعامل بالفجور	الظلم	أحمد بن يوسف	٣	٥٨
وأنت امرؤ	علم	ــ	٢	٩٣
أمين ما	كريم	عمر بن أبي ربيعة	٢	٩٣
ــ ن ــ				
وإنك ما	حان	الشريف الرضي	٢	٦٦
لقد حمل	اطمأنا	هاشم الرفاعي	٥	٧٥
قوم إذا	للإنسان	الأعمى التطيلي	٢	٢١
وحفظي	الزمان	زهير بن أبي سلمى	٢	٢٧
هو الذئب	خؤون	ــ	١	٣١
وإن ضيع	أمينُ	قيس بن الخطيم	٢	٨٩
ثكلت طوائف	أمينا	البوصيري	٧	٨٨
سأرعى	الأمين	النابغة الذبياني	١	٢٧
حسود مريض	حزينه	ابن طباطبا	٥	٥٣
أمانة الملك	يرضيني	الكاشف	٨	٨٣
ــ ي ــ				
لا يكون	الغبي	الخليل بن أحمد	٢	٥٢
وإن امرؤ	وافيا	أعشى قيس	١	٢٨

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأعشى، أبو بصير ميمون بن قيس بن جندل:

ديوان أعشى قيس، تحقيق: كامل سليمان، دار صادر، بيروت، د.ت.

الأعمى التُّطليلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة:

ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د.ت.

الألباني، محمد ناصر الدين:

صحيح الترغيب والترهيب، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، ط٢، ١٩٨٦م.

الإمام علي بن أبي طالب:

نهج البلاغة، دار الفكر، بيروت، ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م.

البارودي، محمود سامي:

ديوان البارودي، حققه علي الجارم، دار العودة، بيروت، ١٩٩٢م.

الباني، محمد بشير:

البناء الأخلاقي، مطبعة المعلم، دمشق، سوريا، ١٩٦٥م.

البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل:

صحيح البخاري، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه: بدر الدين جتين أر، دار سحنون، إستانبول، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

بشار بن برد، أبو معاذ:

ديوان بشار بن برد، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣م.

www.mtenback.com

البوصيري، شرف الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد:

ديوان البوصيري، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥.

الترمذي، الإمام محمد بن عيسى بن سورة:

سنن الترمذي، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه: بدر الدين جتين آر، دار سحنون، إستانبول، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

جاد المولى، محمد أحمد:

أيام العرب في الجاهلية، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٣٦٢هـ/١٩٤٢م.

ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد:

المسند، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه بدر الدين جتين آر، دار سحنون، استانبول، تركيا، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

الحسيني، أبو بكر محمد:

كفاية الأخبار، دار الإيمان، بيروت، لبنان، د.ت.

حميد بن ثور الهلالي:

ديوان حميد بن ثور الهلالي، صنعه عبد العزيز الميمني، درا الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧١هـ/١٩٥٧م.

ابن حيوس، محمد بن سلطان بن محمد:

ديوان ابن حيوس، عني بنشره وتحقيقه خليل مردم بك، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م.

ابن خفاجة الأندلسي، أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح:

ديوان ابن خفاجة الأندلسي، تحقيق كرم البستاني، دار بيروت، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

www.mtenback.com

أبو داود، الحافظ، سليمان بن الأشعث:

سنن أبي داود، أشرف عليه ورقمه وأعد فهارسه: بدر الدين حتين آر، دار سحنون، إستانبول، تركيا، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن أبي الدنيا، الحافظ الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد:

مكارم الأخلاق، تحقيق جيمز. أ. بلمي، دار فرانز شتاينر، فيسبان للنشر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

ابن رشد، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي:

بداية المجتهد ونهاية المقتصد، دار المعرفة، بيروت، ط٧، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

الرفاعي، هاشم:

ديوان هاشم الرفاعي، جمعه وحققه محمد حسن بريغش، مكتبة المنار، الأردن، ط٢، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ابن الرومي، أبو الحسن علي بن عباس بن جريج:

ديوان ابن الرومي، دار الهلال، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

الكشاف، دار المعرفة، بيروت، د.ت.

زهير بن أبي سلمى:

ديوان زهير بن أبي سلمى، صنعة الإمام أحمد بن يحيى ثعلب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م.

السباعي، مصطفى:

أخلاقنا الاجتماعية، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٣٩٧هـ.

www.mtenback.com

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهري:

الطبقات الكبرى، تحقيق إداور شيخو، مطبعة إبريل ليدن، ١٩١٧م.

سيد قطب:

في ظلال القرآن، دار العلم للطباعة والنشر، جدة، ط١٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

الشربيني، محمد الخطيب:

مغني المحتاج إلى معرفة ألفاظ المنهاج، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٧هـ/١٩٥٨م.

الشريف الرضي، أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين:

ديوان الشريف الرضي، دار صادر، بيروت، د.ت.

شوقي، أحمد:

الشوقيات، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

أبو طالب، عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم:

ديوان أبي طالب، جمعه وعلّق عليه: عبد الحق العاني، دار كوفان للنشر، المملكة المتحدة، ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

الطنطاوي، محمود:

التربية وأثرها في رفع المستوى الطبي، دار البحوث العلمية، الكويت، ط١، ١٩٧٥م.

www.mtenback.com

عامر بن الطفيل العامري:

ديوان عامر بن الطفيل، دار بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

العباس بن مرداس:

ديوان العباس بن مرداس، دار صادر، بيروت، د.ت.

ابن عبد البر القرطبي، الإمام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد:

بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

عبيد بن الأبرص:

ديوان عبيد بن الأبرص، دار بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٣م.

العجلوني، إسماعيل بن محمد:

كشف الخفاء، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، د.ت.

عمر بن أبي ربيعة:

ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه: يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الغزالي، محمد:

خلق المسلم، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، قطر، ط٩، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد:

الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ط٤، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

الفرزدق، أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة:

ديوان الفرزدق، شرحه إيليا الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٢، ١٩٨٣م.

www.mtenback.com

القرطبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر:

الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٥، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.

ابن قتيبة، أبو عبد الله محمد بن مسلم:

معجم الشعراء، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٥، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

قيس بن الخطيم:

ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق محمد ناصر الأسد، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م.

الكاشف، أحمد بن ذو الفقار بن عمر الكاشف:

ديوان الكاشف، دار الهيئة المصرية، القاهرة، د.ت.

ابن كثير القرشي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، بن عمر:

تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١م.

لبيد بن ربيعة العامري:

ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

ابن ماجة، الحافظ أبو عبد الله بن محمد بن يزيد:

سنن ابن ماجة، حققه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، استانبول، ط٢، ١٩٩٢م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن حبيب:

أدب الدنيا والدين، تحقيق: مصطفى السقا، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م.

www.mtenback.com

محمد سليمان:

علماء الإسلام، دار الكاتب العربي، بيروت، د.ت.

مسلم بن الحجاج، الإمام مسلم بن الحجاج القشيري:

صحيح مسلم، حققه محمد فؤاد عبد الباقي، دار سحنون، استانبول، ط٢، ١٩٩٢م.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:

لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د.ت)،

الميداني، عبد الرحمن بن حسن بن حبنكة:

الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، بيروت، دمشق، ط١، (١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، ١٩٥٥م.

النابغة الذبياني، أبو أمامة زياد بن معاوية:

ديوان النابغة الذبياني، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٧٩م.

ابن هشام، جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام:

السيرة النبوية، دار الكتب العلمية، القاهرة، ١٣٢٠هـ/١٩١٤م.

ياسين، محمد نعيم:

الوجيز في الفقه الجنائي، دار الوفاق، بيروت، ط١، د.ت.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com